جامعة الانبار
كلية التربية للعلوم الإنسانية
القسم العلمي:التاريخ
المرحلة الدراسية:الرابعة
المادة:تاريخ الولايات المتحدة الامريكية
ا.م.د. علي ناجح محمد

محاضرة مادة :تاريخ الولايات المتحدة الامريكية

الحضارات الامريكية قبل الاستكشافات الجغرافية

لم تكن القارة الجديدة خالية من السكان ولا من الحضارات إنما كان القسم الأكبر من سكانها تجمع في المناطق الوسطى من القارة . وقد اثبتت الدراسات أن هؤلاء السكان من سكان العالم القديم وذلك لأنه لم يعثر في أميركا على أثار الإنسان القديم (النيادرتال) والأرجح أن هؤلاء قد عبروا مضيق بيرنج بعد نهاية العصر الجليدي ويرجح أنهم ينتمون إلى العنصر المنغولي الذي ينتمي إليه الصينيون الذين أتوا من شمال آسيا إلى شمال أميركا ومن ثم أخذوا بالاتجاه جنوبا بحثا عن أسباب الحياة ، ذلك لأنهم ظلوا لفترة طويلة شعوبا رحل تعيش من الصيد والقنص . ولا بد من الإشارة إلى أن هذه الحضارات تطورت بصورة منعزلة تماما عن حضارات آسيا وبالتالي فليس بينها تشابه وهي تختلف عن الحضارات السائدة في أوروبا في القرنين الخامس والسادس عشر الميلادي .

أما النوع الثاني الذي سكن القارة الجديدة فهم الهنود الحمر الذين أمتد نفوذهم من قارة أمريكا الشمالية والجنوبية إلى الجزر المحيطة بها والمكملة لامتدادها الجغرافي والتي كانت تعرف بجزر الهند الغربية وتتميز هذه القبائل بالبشرة النحاسية والتي تختلف عن البشرة الأوربية البيضاء وتقترب عن البشرة الآسيوية الصفراء . وكانت هناك قبائل أخرى تسكن القارة الأميركية ففي كندا الحالية كان هناك قبائل تسكنها تعرف بقبائل (الهورون ، Horn) (وقبائل (الجونكين ، وهي من القبائل الهندية المسالمة والمحبة للتجارة وكانت تنزل إلى الشمال من (Algonguins

نهر سانت لورانس وقد قامت بدور الوسيط في تبادل التجاري بين الفرنسيين والقبائل الهندية الأخرى وكانت اكبر القبائل الهندية قوة وتماسكا وهي قبائل الأيروكوا (Iroguois) التي كانت تنزل غربي نيويورك الحالية وتشتهر بالميل إلى الحرب واتباع سياسة العدوان ومن ثم كانت القبائل المجاورة تخشاها (.

ومن الحضارات التي ظهرت في أميركا .

تعتبر من أرقى الشعوب ثقافة آنذاك وأعظم المجتمعات : (Azteques) اولا : حضارة الأزتيك . تعقيدا وأعظمها أهمية من الناحية السياسية وذلك لاستخدامهم نظام الانتخابات في الإدارة ومن التنظيم والمركزية في الدولة والتطور في النظام القضائي وحسن تنظيم الجيش والزراعة والهندسة والإعمار . في القرن الثالث عشر نزلت هذه الشعوب في سهول المكسيك والتي تقعد على الصيد والقنص وبنوا عاصمتهم الشهيرة (مكسيكو الحالية عام ١٣٢٠ م ، ومن

مميزات هذه الحضارة : أ . الدين : للأزتيك آلهه كثر ورثوا الاعتقاد بهم عن أجدادهم وكان بعض هذه الآلهة يتصف بالشراسة وحب الدماء البشرية ، ومنهم أنساني و لكنهم يؤمنون بفكرة التوحيد والفضل في ذلك يعود إلى رجال الدين المثقفين وكانت معابدهم تبنى فوق الأهرامات والنيران (مشتعلة ليلا ونهارا لأنهم كانوا يعيشون في خوف دائم وكانوا يقدمون القرابين للألهة

ب- الجيش : كان ذا تقدير كبير بين أفراد الشعب ، وله مكانة كبيرة كمكانة رجل الدين كان أفراد الجيش يرسلون إلى المدارس العسكرية وتفرض الخدمة الإلزامية أثناء الحروب وكانوا ميانين للقتال ويفضلون أخذ الأسرى بدل قتلهم ويقدمونهم إلى المعابد

ج- النظام السياسي : لقد مارسوا نظاما سياسية متطورة يتم بالاختيار وليس بالوراثة أن كان هذا الاختيار يتم في عائلة واحدة وكان يساعده في شؤون الحكم مجلس يتولى اسة وتقدير الأمور المهمة في اجتماعات دورية منظمة .

ثانيا : حضارة الانكا (Incas)

في القرن العاشر الميلادي انتشرت هذه الحضارة في بلاد البيرو ، على ضفاف بحيرة تيكاكا الواقعة في مرتفعات جبال الأنديز في بلاد البيرو جعلت مدينة كوزكو عاصمة مركزا لهم ومن مميزاتها .

أ- التنظيم السياسي ، سيطرت فكرة الدولة في ذهن هذه الحضارة فالمواطن جزء من دولة وعلية الولاء لها وله حقوق و عليه واجبات ، وهناك الحكم الذي سلطته تأخذ طابع مقدس ومن بعده رؤساء الوحدات الإدارية وهم المقاطعات وعددهم أربعة ولم يتوصلوا ى ما وصل اليه شعوب الازتيك من التقدم في العلوم ولم يعرفوا الكتابة

ب . التنظيم الأداري : كان مركزيا وتتركز فيه جميع الإدارات الحكومية في العاصمة كون له القدرة في إدارة شؤون البلاد كلها بنفسه ، ولتسهيل هذه المهمة ربطت العاصمة ميع أنحاء الإمبراطورية بشبكة واسعة من الطرق .

ج- التنظيم الاجتماعي : نظام الطبقات اعتمد الأيولو . القبيلة) ويتدرج : الإنكا : وله المقام الأول وهو الحاكم الأبوي الالهي المستنير الاشتراكي) طبقة الأشراف : وهؤلاء لهم امتيازاتهم القيمة وأبرزها حصر المراكز القيادية فيهم وجعل التعليم والثقافة احتكارا لهم . رجال الدين : وهم يشكلون طبقة لها امتيازاتها وهي متساوية مع طبقة الانكا ويترأسهم كاهن يسمى (كاهن معبد الإله الشمس) وهو شقيق أو عم رئيس القبيلة(الانكا)

4 . الطبقة العامة : ومهمتهم خدمة الدولة والأخيرة ملزمة بتوفير العمل للمواطنين أيام السلم . وإعالة الضعاف والمرضى

د- الملكية : تقسم الأرض إلى ثلاث أقسام (لم يعرف هذا الشعب ملكية الأرض بالشكل المألوف)

ا . قسم خاص بالآلهة الشمس يديره الكهنة

2. قسم خاص بالإمبراطور الأنكا

3 . قسم خاص (الايولو) القبيلة الأرض الجماعية يوزعها زعيم القبيلة في كل عام لعامة الشعب

. د- الدين : عبادة الإله الشمس وهو الدين الرسمي للدولة

ن ـ البناء والعمران : عرفوا البناء والعمران وتشيد القصور وتزيين الساحات وصناعة الحلي والحياكة والنسيج والسيراميك والفخار إضافة إلى الشبكة الواسعة من الطرق التي تربط العاصمة بجميع أنحاء البلاد

(Mayas) ثالثا : حضارة المايا

يعود أصل شعوب هذه الحضارة إلى بلاد غواتيمالا وجنوب هندوراس حيث أقاموا دهم هناك ومن . مميزاتها

أ. الدين : عرفوا الازدواجية في الدين وهو الصراع الدائم بين قوى الخير والشر وقد ساعدت ديانتهم على تطور فن العمارة والتصوير لأنهم يغالون في رسم وتزيين عماراتهم ومعابدهم ويغلب على فنهم الطابع الرمزي الديني ومن الحيوان الثعبان هو حيوان مقدس بالنسبة لهم كذلك . لممارستهم الزراعة فكان لهم الإله المطر مقدس عندهم أيضا

ب ـ العلوم والثقافة : عرفت هذه الشعوب درجة عالية من التنظيم الأجتماعي والسياسي وعلم الفلك وعرفوا شيء من الكتابة وعمل التقويم ، ولغتهم موجودة لحد الآن يمارسها سكان أميركا الوسطى

(Shpsha) رابعا : حضارة الشبشا

قدر عددهم بحوالي المليون وكان التنظيم الاجتماعي والسياسي لجماعة الشبشا اكثر تماسكا من غيره . وكانت السلطة الدينية العليا يتولاها رئيس الكهنة ويعرف باسم (اراكا) وكان لهم تقويم خاص على درجة كبيرة من التقدم ، ولهم نظامهم العددي واستخدموا الكتابة التصويرية ومارسوا التجارة على نطاق واسع واقاموا صناعات فخارية وكذلك صناعة الذهب واستخدموا (الخشب (والقش في تشيد معابدهم

الأستكشافات الجغرافية في القرنين الخامس عشر ، والسادس عشر

كان للإشتكشافات الجغرافية أهمية كبيرة لا في تاريخ أوروبا والمناطق التي اكتشفت قط ، بل في مجمل تأريخ العالم حتى يمكننا اعتبار اكتشاف العالم الجديد والذي كان من أهم نتائج الأستكشافات نهاية وبداية عهد تاريخي جديد ، ولقد تضافرت عوامل أساسية مساعدة أدت إلى ظهور وتبلور حركة الإستكشافات

. أولا : العوامل الأساسية .

1. العامل الاقتصادي : من العوامل الاقتصادية المهمة هو ازدياد دور النقود في التبادل التجاري لان النقود أصبحت الرمز في الثروة وكثرة العوائل المترفة المطالبة بالمصوغات الذهبية والأحجار الكريمة ، إضافة إلى التطور في بناء السفن والخرائط والآلات الجغرافية مع تطور صناعة الأسلحة واستخدامها في السفن مما يسهل التوغل إلى المناطق التي يصعب الخوض فيها ، هذا بالإضافة إلى ضخامة الأرباح ، هذا كله ساعد التجار على البحث عن طرق بديلة تكون اقل تكلفة وأكثر ربحا .

2. العامل السياسي : أن تطور العلاقة بين الشرق والغرب وزيادة احتكاك الأوروبيين بدول شعوب الشرق وبلدان الشرق الأوسط مع زيادة التبادل التجاري بين الأقطار العربية والمدن الايطالية إضافة إلى الاستقرار السياسي ، وكان التبادل التجاري يشمل ، العطور ، والتوابل ، والمواد الصيدلانية ، ومواد أولية ومعدنية ، وأحجار كريمة .

3. العامل الديني : أن استغلال العامل الديني والرغبة في نشر المسيحية ومباركة الكنيسة الحركة الأستكشافات الجغرافية لمنع المسلمين من الوصول إلى تلك المناطق الأثر الفعال في نشر حركة الاستكشافات .

. ثانيا : العوامل المساعدة

1 . تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة والتي كانت شائعة لدى الأوروبيين مثل ، كون المحيط الهادي بحيرة مغلقة ، وعدم الأيمان بكروية الأرض ، وفي عام 1410 نشر (سير دي اليه) كتابية بعنوان (خارطة العالم) ضمن اراءه حول كروية الأرض كما أكد أن الطريق من اسبانيا إلى الهند عبر المحيط الأطلسي قريب وقابل للأختراق خلال بضعة أيام .

٢. احتكار العثمانيين لطريق البحر المتوسط مما أدى إلى البحث عن طريق عبر المحيط الهادي والأطلسي

. دور البرتغال والأسبان في الأستكشافات الجغرافية

كان الدور الرئيسي في الاستكشافات الجغرافية ، يعود للبرتغال والاسبان بسبب الموقع الجغرافي لهذين البلدين واللذين يطلان على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي ، والقريب من

سواحل أفريقيا ، أما سبب توجهم نحو المحيطات بسبب سيطرة العثمانيين على البحر الأبيض المتوسط ، أما بحر الشمال والبلطيق مسيطر عليه من قبل ألمانيا . وكان لانشغال الألمان و الإنكليز بحرب المائة عام (١٤٥٣ – ١٨٣٧) ، وانعدام رغبة الألمان في خوض المغامرات الأثر الذي حفز الأسبان والبرتغال في خوض غمار الأستكشافات الجغرافية وكانت حكومة هاتين الدولتين تشجع التجار على الخوض في الاستكشافات والرحلات مع تقديم الدعم المادي لهم ولاسيما أن الأسبان قد تعلموا من العرب في الأندلس علومهم والمهارات في ركوب البحار ، وكان أخر معقل للمسلمين قد سقط عام ١٤٩٢ في الأندلس (غرناطة) فعاد الفرسان الأسبان إلى بلادهم دون عمل " فازدادت ديونهم لدى مرابي المدن وقد خشي الملوك الأسبان والبرتغال من قبل هؤلاء ورة ضدهم لذلك أقحموهم في تلك الإستكشافات بالإضافة الى رغبة البعض في الهجرة و مناطق جديدة هربا من الاضطهاد الديني ولاسيما أن أوروبا كانت تعيش في تلك الفترة بروب واضطهادا دينية بين البروتستانت والكاثوليك اكتشاف أميركا كريستوفر كولومبس

لا تتوفر لحد الآن معلومات كافية عن حياة كولومبس ، وأن : (Christopher Colombus) معظم المعلومات التي وصلتنا عن هذا المستكشف تعرضت لدوافع

سياسية أو قومية أو دينية بقصد التشويه . إلا أن المسلم به أن كريستوفر كولومبس ولد عام 1451 في مدينة جنوا ، أيطالي الجنسية كان أبوه يعمل حائكا وهو من عائلة فقيرة ، لم يدرس بشكل منتظم وعمل تاجراً وأبحر في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي مرات عديدة ، دخل إلى ميدان الملاحة في بداية تياته وتزوج من عائلة برتغالية معروفة شهيرة بهذه المهنة وقد ورث عن والد زوجته كتبة جغرافية ثمينة فيها العديد من المخطوطات الجغرافية وكتب التاريخ والفلك توفي عام 1506 في أحد السجون الأسبانية . كانت محاولات عديدة للإيطالي كريستوفر كولومبس لاكتشاف العالم الجليد ونجح عام 1492عندما أبحر بثلاث سفن صغيرة من أسبانيا إلى جزر الكناري غربا وقد وصل لومبس في ١٢ تشرين الأول ١٤٩٢ إلى جزيرة صغيرة إلى الشرق من كويا أطلق بها سان سلفادور فيعتبر ذلك اليوم بداية اكتشاف القارة الأميركية الذي اخترق المحيط الاطلسي فأصبح الطريق مفتوحة إلى الجانب الغربي من الكرة الأرضية مما أدى إلى نتائج عظيمة بالنسبة لكل من أوروبا والأراضي التي اكتشفت ،وهنا بالذات تكمن الأهمية

التاريخية للرحلة التي قادها كولومبس أستفسر كولومبس في بداية وصوله اليابسة عن السكان الأصليين عن الذهب وبدأ البحث عن التوابل ولكنه لم يتوصل إلى نتائج واضحة ومع أن المناطق التي أكتشفها لم تكن تشبه تلك المناطق المليئة بالمعادن الثمينة إلا أنه كان يعتقد أنه ليس ببعيد عن تلك الجزر الخيالية وقد شجعت رحلات كولومبس الرحالة البرتغاليين والأوربيين للمغارات البحرية . بعد ذلك وفي عام 1497 أبحر (جون كابوت) وهو بحار من جنوا الإيطالية ، على ، (New Fond Lond) سفينة انكليزية إلى شاطئ لنهر أميركا الشمالي عند نيو فوندلاند وقام برحلة عام 1498 وصل إلى الشاطئ الشرقي لأميركا الشمالية حتى فلوريدا ثم تابع الأنكليز Gilbert) رحلاتهم الأستعمارية والاستيطانية في مناطق العالم الجديد فقام السير همفري جلبرت برحلة إلى نيو فوندلاند وبدأ في استعمارها في عهد الملكة الإنكليزية (اليزابش الأولى) ، التي ( ) فتحت حق امتلاك المناطق وأستيطانها .ثم جاءت جهود المستكشف الأنكليزي والتر رالي عام 1585في اقامة مستعمرة في جزيرة رونوك وقد أطلق على المنطقة (Walter –Raleigh . الساحلية لأميركا الشمالية أسم فرجينيا) تكريما للملكة

) أما من أين جاءت تسمية أميركا فقد جاءت نسبة إلى الفلكي الأيطالي أميركو زبوتشي الذي يعتبر أول من أدرك أن الأرض المكتفة في جانب الغربي أنما ((Amerigo – Vospuhi هي قارة جديدة غير معروفة واشترك عام ١٥٠١ بحملة برتغالية تأكيدا أيه السابق وفي رسالة بعثها لأحد أصدقائه اقترح تسمية القارة المكتشفة (العالم الجديد) لا أن الفلكي الألماني فالدزيمولر قام بنشر رسالة أميركو في مقدمة كتاب له والمناطق الواسعة التي اكتشفها كولومبس باسمه وأقترح على هذا الأساس تسمية القارة الجديدة باسم أميركو ، الذي جاء باسم أميركا يقصد في البداية الجزء الشرقي من أميركالجنوبية ثم أصبح يطلق منذ عام 1538على القارتين الأميركيتين . كانت من نتائج الاستكشافات الجغرافية البرتغالية والأسبانية أن تضاءلت إلى حد عيد الأهمية التجارية للبحر الأبيض المتوسط التي كان يتمتع بها طوال العصور الوسطى انتقل مركز الثقل من حوض البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي ، وبعد أن كانت انكلترا حس بعدم تكافؤ الفرص لبعدها عن الاستكشافات الجغرافية . بسبب بعدها عن حوض البحر المتوسط

أتجهت نحو ميدان الاستكشافات الجغرافية ولكن ببطء تدريجي. المستعمرات الإنكليزية في قارة أميركا الشمالية .

. المستعمرات الإنكليزية في قارة أميركا الشمالية

حدثت أمور في اسبانيا في النصف الثاني من القرن السادس عشر جعلتها تفقد سيادتها على أغلب الأراضي التي اكتشفتها وفسح المجال أمام الإنكليز للعمل بمية أكبر لاسيما بعد تدمير الأسطول الأسباني في البحار عام 1688. ومن هذه الأمور:

١. أن النظام الاقتصادي الذي تبنته اسبانيا عقب اكتشافها أميركا اعتبر الذهب وحده أساسيا للثروة ليس في داخل اسبانيا فقط وإنما حتى في المستعمرات وأهملت الزراعة والصناعة وهذا بدوره أدى إلى تضخم النقدي وعدم استثمار الثروات وعدم تطوير البلاد زراعيا " .

٢. المراسيم التي اتبعتها الملكة أيزابيل (ملكة اسبانيا) بطرد المسلمين واليهود من شبه الجزيرة الأسبانية ، أفقدت اليد العاملة والخبرة في شؤون الزراعة والصناعة . انشغال أسبانيا في تأييد الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا وتدخلها في قضايا الإصلاح الديني أدى بها إلى إهمال شؤون المستعمرات لقد حصلت الشركات التجارية الكبرى المتكونة من الطبقات الأرستقراطية الإنكليزية وكبار الرأسماليين وشركة لندن وشركة خليج ماساشوستس على الامتياز من التاج الإنكليزي بحق جمع الضرائب ومسك النقود وتنظيم التجارة وشراء الأراضي وبيعها وإعلان الحرب وضم الأراضي في المناطق التي تكتشفها وتستعمرها وكانت وثيقة الامتيازات التي تحصل عليها الشركة ، عبارة عن دستور الشركة ونظامها . وقد تأسست مدينة جيمستون في مستعمرة فرجينيا عام ١٦٠٧ بواسطة شركة لندن في أميركا الشمالية وقد نصت بنود الامتياز على أن سكان المستعمرات يجب أن يتمتعوا بالحصانات والحريات نفسها التي يمتلكونها لو كانوا في إنكلترا كما أعطيت الشركة حق صك النقود وفرض الضرائب وسن القوانين مع المحافظة على سلطات العرش وأصبحت المستعمرة فرجينيا مقاطعة ملكية بعد أن ألغي جيمس الأول إمتياز الشركة عام ١٦٢٤ ، فعينت الحكومة الإنكليزية حاكما عاما اللمستعمرة يساعده في الحكم جمعية تشريعية ينتخبها المزارعون وهذه تعتبر أول حكومة تمثيلية في أميركا ، أما مستعمرة ماساشوستس فقد تأسست عام ١٦٢٠ ، على يد شركة بلايموث وكانو سكانها الهاربين من الإضطهاد الديني وسكانهم يسمون أنفسهم

أي بالحجاج والذين رفضوا تعاليم الكنيسة الأنكليزية وهم (Pisher – ymez) البلجريمز المتطهرون) وكانت اهمية هذه المستعمرة تكمن في حكومتها الشعبية أكثر من إقتصادياتها الجزئية ، فقد وضع ماساشوستس أول دستور مكتوب بموجب عقد إجتماعي يرضي المحكومين من سكان المستوطنة الأوائل وظهر في ماساشوستس نظام تمثيلي نيابي وكان الناس ينتخبون الأعضاء الذين يمثلونهم وكان هناك مجلس تشريعي لغرض القانون ، وقد ظهرت بمرور الزمن : عدة مستوطنات كما يلي

أ- مستعمرة فرجينيا	تأسست عام	1607
ب- مستعمرة ماساشوستس	تأسست عام	1620
ج- مستعمرة نيوهامبشير	تأسست عام	1636
د. مستعمرة ميرايلاند	تأسست عام	1634
هـ . مستعمرة رودايلاند	تأسست عام	1635
و- مستعمرة كارولينا الشمالية	تأسست عام	1663
ز- مستعمرة كونيكتكيوت	تأسست عام	1636
ح . مستعمرة نيوجرسي	تأسست عام	1681
ط . مستعمرة نيويورك	تأسست عام	1664
ي . مستعمرة كارولينا الجنوبية	تأسست عام	1664
ك . مستعمرة ديلاوير	تأسست عام	1681
ل ـ مستعمرة بنسلفانيا	تأسست عام	1682
م . مستعمرة جورجيا	تأسست عام	1733

ولم يكن بناء المستعمرات الإنكليزية في أميركا الشمالية أمرا سهلا لأن قبائل الهنود الأحمر واجهوا الهجرات الإنكليزية مواجهة عنيفة لقد تعددت الأسباب التي جعلت المستعمرات الإنكليزية : بأميركا الشمالية تنمو وتعمر مثل

حمل المستوطنين معهم أينما ذهبوا ، الذي يتمتع به الأحرار البريطانيين وما ورثوه وما يطمحوا . له من تقاليد في الكفاح من أجل الحرية .

لم يتقيد المستوطنون في نشاطهم أو في حركاتهم لشغل منطقة معينة بل كان لهم مطلق الحرية . في أن ينتقلون من مكان إلى آخر وأن يتوغلوا في البلاد وينتشروا بين الهنود سكان البلاد . الأصليين

كانت حكومة لندن تشترط على الشركات أن يزرعوا الأرض بحيث أن قصر هولاء خرجت الأرض . (عنهم

نتيجة لقلة مساحة هذه المستعمرات وقربها من بعضها سهل من ربطها ببعض مع التعاون فيما . بينها

كان عدد سكان هذه المستعمرات في القرن الثامن عشر (١،٥٠٠،٠٠٠) نسمة وكانت إنكلترا . قد سمحت بثلاث أنظمة من الحكم فيها هي (حكم مطلق من قبل إنكلترا ، شركات تجارية ، حكم . (ذاتي

توجد طبقتين في هذه المستعمرات وهما طبقة العبيد وطبقة ملاك الأراضي .

علاقات الانجليز مع السكان الاصليين (الهنودالحمر)

وإن لم تكن أراضي شمال القارة مأهولة بالسكان وموطنا لحضارات زاهية كما كانت حال أميركا الوسطى حين وصول الإسبان اليها، إلا أنها على كل حال كانت موطناً لعدد قليل من قبائل ((الهنود)) الحمر موزعين في الغابات وحول مجاري الأنهار يمارسون حياة على درجة كبيرة من التخلف ويعيشون من الصيد والقنص ومن زراعة بدائية للغاية، وحين وصل الانكليز إلى الشواطئ الأمريكية لم يقابلهم السكان الأصليون بروح عدائية في أكثر الحالات، بل كثيراً ما كانوا يظهرون الرغبة بالتعامل معهم واعطائهم الفراء والتبغ مقابل ما عند المهاجرين من مصنوعات وزجاجيات وبعض زجاجات الروم . ونظراً لاتساع أراضيهم فلم يكونوا يعارضون في نزول المهاجرين الذين كانوا منذ البداية يسعون للحصول على موافقة السكان المحليين على تملكهم للأراضي التي يقيمون عليها عن طريق اتفاقيات ورقية كان الهنود لا يجدون أي مانع في بصم أصابهم عليها نظراً لجهلهم الكتابة وعلى كل حال فقد كان هؤلاء لا يرون أية قيمة لهذه الاتفاقيات أولاً يجهلهم . بمضمونها وثانياً لكون فكرة التملك وانتقال الملكية العقارية كانت غريبة عن مداركهم تماما

إلا أنه بعد سنوات قليلة أخذ الهنود يدركون ماهية الخطر الأبيض فالمهاجرون في تزايد مستمر وقراهم لم تعد على الشاطئ فقط بل أخذوا يبنون بعضها في الداخل . ثم إن الرجل الأبيض أخذ يتوغل في الغابة بحثاً عن حيوانات يصطادها مزاحماً في ذلك الهندي في مورد رزقه الأساسي . وبدأ تصادم المصالح يؤدي الى اعتداءات وحوادث قتل افرادية أول الأمر تحولت بعد ذلك إلى جماعة كانت في غالب الأحيان تأتي نتيجتها لصالح الرجل الأبيض نظراً لقوة أسلحته ولتقدمه الحضاري .

وهكذا مع الأيام اشتعلت بين الرجل الأبيض والرجل ((الهندي)) نيران حرب متقطعة، تخللتها فترات سلم قلق، امتدت من فلوريدا حتى أراضي داكوتا دامت حوالي قرنين من الزمن .

((ويمكننا أن نميز مراحل ثلاث في تاريخ هذه ((الحرب الهندية:

المرحلة الأولى:

في هذه المرحلة كان الهنود، نتيجة لشعورهم بأن مصالحهم مهددة هم الذين يبادرون إلى استعمال العنف . ففي ٢٢ آذار سنة 1622١ نظم اوبيشانكانو زعيم اتحاد القبائل القاطنة حول مستعمرة فرجينيا هجوماً صاعقاً على قرى المستعمرة حيث قتل 346 مهاجراً انكليزياً، ولم يسلم من هذا الهجوم سوي العاصمة جيمستون، وكان ذلك بداية حرب دامت أربع عشرة سنة حافلة بالمعارك و بأعمال التخريب والقتل من قبل الفريقين . ولم يدم الصلح الذي عقد سنة 1636 إلا سنوات قليلة بادر بعدها الزعيم الهندي الى تنظيم مذبحة ذهب ضحيتها حوالي 500 شخص من البيض . ولم تتوقف هذه الحرب إلا حين وفق المهاجرون البيض الأسر الزعيم وبيشانكانو واعدامه .

وفي سنة 1637 اشتعلت في الشمال في أراضي انكلترا الجديدة نيران الحرب المسماة ((حرب البيكو)) Pecots . وقد بدأت هذه الحرب بمقتل تاجر انكليزي مما أدى إلى سلسلة من التدابير الانتقامية من الجانبين . وفي 26 أيار سنة 1637 تسلل الكابتن ماسون، مع فريق من جنوده الانكليز نحو قرية قبيلة البيكو فحاصرها وأضرم فيها النيران وكانت حصيلة هذا الهجوم إحراق ستمائة رجل وامرأة وطفل من الهنود وزالت بذلك هذه القبيلة نهائياً من الوجود .

المرحلة الثانية:

أمام تزايد عدد المهاجرين وتكاثر مدنهم ومستعمراتهم شعر الهنود بضرورة التنظيم والتعاون ونبذ خلافاتهم القبلية، وكثير من هذه القبائل وُفقت في إقامة تحالفات عسكرية ساعدت على مقاومة الغزو الأبيض ونتيجة لهذه الاتفاقات فقد شن الهنود بين سنة 1675 وسنة 1715 ثلاثة حروب ضد المستعمرات الأوروبية أشهرها حرب الملك فيليب سنة 1675 التي قامت ضد مستعمرة بليموت والتي كادت تقضي عليها (وقد أسميت بهذا الاسم لأن الأوروبيين أطلقوا اسم الملك فيليب على ميتا كوميت زعيم القبائل المحاربة) وقد استمر احراق القرى والمزارع والمعارك الصغيرة طيلة صيف وخريف ذلك العام ولم تتوقف تلك الحرب إلا بقتل زعيم الهنود في هجوم مباغت في سنة 1676 .

ومما امتازت به هذه المرحلة انتشار حرب العصابات على طول الحدود الداخلية بين قبائل الهنود والقرى الأمامية وكثيراً ما أدت هذه الاضطرابات الى انعكاسات على الوضع السياسي في كل المستعمرات .

وهنا لا بد من الاشارة إلى أنه رغم جو العداء المتزايد فإن فتة من الرجال البيض كانت ذات إرادة حسنة ورغبة في معاملة الهنود معاملة إنسانية عادلة ومن هؤلاء على سبيل المثال وليم بن مؤسس ولاية بنسلفانيا الذي كان دوماً على أفضل العلاقات مع جيرانه الهنود . وقد أقام مجلس تحكيم يتألف من ستة أعضاء من الهنود وستة من البيض يتولى حل كل الخلافات التي تنشأ بين الفريقين . وقد صادق زعماءهم وكان يحضر احتفالاتهم الدينية كواحد منهم ويشارك في طقوسهم وأعيادهم .

وقد أظهر مهاجرو ولاية نيويورك أيضاً ميلاً دائماً للتعايش السلمي مع جيرانهم الهنود، وذلك أن هؤلاء الهنود كانوا قبل مجيء البيض إلى جوارهم قد أقاموا بين قبائلهم الخمسة التي تنتمي إلى عنصر (ايروكويز) ام اتحاداً يعرف باسم ((الأمم الخسة)) . فكان لهم مجلس أعلى يدير شؤونهم وكان المهاجرون يهابونهم كثيراً من جهة لما عرف عنهم من شدة وشراسة ومن جهة ثانية لكون أراضيهم تتاخم من جهة الداخل الأراضي الفرنسية . ولذا فقد عوملوا دائما بعدل واحترام تلافياً لقيام اتحاد بينهم وبين الفرنسيين وخوفاً من بأسهم .

تبدأ هذه المرحلة مع بدء الحروب الفرنسية – الانكليزية في العالم الجديد . فقد أخذ كل من الفريقين يقدم الاغراءات والترضيات لجيرانه من الهنود في محاولة لاستمالتهم والحصول على مساعدتهم في الحرب . فكثير من القبائل التي تقطن في الشمال تولى الفرنسيون تسليحها وتحالفوا معها . وكانت الخلافات القبلية والمصالح التجارية تلعب دوراً كبيراً في جعل القبائل تقف مع هذا الفريق أو ذاك, ومن الأنصاف القول أن العون الهندي للفريقين كان ذا أهمية بالغة، بل أن التاريخ الأميركي لا يزال يطلق على حرب السبع سنوات اسم الحرب الفرنسية – الهندية نظراً للدور الكبير الذي لعبته قبائل ((الأمم الخمسة)) إذ لولا العون الكبير الذي قدمته ربما لما أمكن . الانتصار على الفرنسيين

إلا أنه ما إن زال الخطر الفرنسي حتى عاد الفريقان إلى عدائهما الذي يفرضه اختلاف المصالح. وكان أكثر ما اشتد النزاع بعد خروج الفرنسين من الأراضي الواقعة جنوب منطقة البحيرات الكبرى . اذ عقب هزيمة الفرنسيين مباشرة اشتعلت ثورة عارمة قامت بها القبائل أوتاوا ونظمها و دبرها . الزعيم بوتنياك

ذلك أن هذا الرجل بذكائه الفطري كان قد أدرك حتى قبل أن يهزم الفرنسيون بأن خطر هؤلاء أقل بكثير من خطر الانكليز الذين كانوا يعملون بثبات على السيطرة تدريجياً عن طريق روادهم على . الأرض الهندية

وعلى كلٍ فقد كانت امكانيات الهنود محدودة جداً وقدرتهم على الوقوف بوجه تقدم الرجل الأبيض باتجاه الغرب في تناقص مستمر نظراً لتزايد عدد المهاجرين البيض ولتطور وسائل القتال والحرب . وأسباب المدنية عندهم

المستعمرات الانكليزية

1763-1775

عقب معاهدة باريس وفي سنة 1763 كان يبدو في الظاهر أن النصف الشمالي للقارة الاميركية قد استقر نهائياً ضمن نطاق الامبراطورية البريطانية، فكل شيء يشير الى شدة الترابط بين الوطن الأم ومستعمراته في أميركا، فسكان الأرض الجديدة لم يحاولوا أن يؤسسوا لهم مدينة جديدة إنما

كانت حياتهم امتداداً لما ألفوه في وطنهم الأصلي، وحضارة المستعمرات الثلاث عشرة كانت انكليزية صرفة ولغة سكانها انكليزية والقوانين السائدة بينهم هي نفسها المعمول بها . في انكلترا، والعادات السائدة في الحياة الاجتماعية والعائلية هي نفسها السائدة في الوطن الأم . والمكناكرتا التي كانت تضمن لسكان الجزر البريطانية حرياتهم وحقوقهم الطبيعية لم تكن أقل سيادة واحتراماً في المستعمرات الأميركية منها في لندن أو أية مدينة انكليزية أخرى .

في هذه السنة أكثر مكان المستعمرات الأميركية الثلاث عشرة كانوا لا يزالون يحملون الجنسية البريطانية ويفخرون بانتسابهم للدولة التي حققت لنفسها نصراً كبيراً في حرب السبع سنوات واحتكرت لأسطولها السيادة على البحار وفتحت لمواطنيها مجال الثروة والمغامرات في مستعمرات جديدة في كندا وفي وادي المسيسيبي بل أن أحداً في المستعمرات أو خارجها لم يكن يفكر بانفصال وشيك عن الوطن الأم . حتى أولئك الزعماء الذين تولوا قيادة العالم الجديد في معركة الاستقلال في سن1776 لم تكن عقب توقيع معاهدة باريس سنة 1763 تمر في خاطرهم أية فكرة انفصالية أو استقلالية . ألم يصرح بنيامين فرانكلين آنذاك في لندن قائلاً: ((لا يمكن للمستعمرات أن تتحد ضد وطنها الأم الذي تربطها به صلات وعلاقات وثيقة والذي تحب أكثر مما تحب بعضها البعض)). هذا كان بالفعل شعور جميع الأميركيين قبل الاستقلال .

إلا أنه رغم كل العوامل التي كانت تعمل على توثيق صلة المستعمرات بالوطن الأم فإن عوامل أخرى معاكسة كانت تعمل منذ مدة طويلة سبب بعد المسافات وبتأثير الأرض والبيئة وطبيعة الحياة على إعطاء المهاجرين الى العالم الجديد صفات وميزات ومصالح تبعدهم عن الوطن الأم. وقد أخذت هذه الفروقات تظهر بوضوح متزايد بعد جلاء الفرنسيين عن القارة الجديدة . إذ ربما كان الخطر الفرنسي يجعل المستعمرات الانكليزية قبل سنة 1763 تمسك بصلاتها مع الوطن الأم لتتخذ منه درعاً يقيها خطر الفرنسيين في أراضيها .

وسنحاول هنا أن تعرض باختصار أوضاع هذه المستعمرات خلال الفترة الممتدة من صلح باريس حتى حرب الاستقلال متلمسين العوامل، على ضعفها، التي أخذت تجعل سكان المستعمرات الأميركية ولو بصورة لاشعورية ينزعون الى الاستقلال عن الوطن الأم .

الحالة السياسية:

كانت أنظمة الحكم تختلف من مستعمرة الى أخرى، فبينما كانت ولايتا روايلند وكونكتيكوت تمارسان نوعاً من الاستقلال الذاتي بموجب شرعة تأسيسهما كانت مستعمرات أخرى (نيويورك، نيوجيرسي، فرجينيا كارولينا الشمالية، كارولينا الجنوبية، جورجيا، نيوهامشاير، وماساشوستس) تعتبر من أملاك التاج الإنكليزي وتولى الملك تعيين حكامها . وكان هناك نوع آخر من المستعمرات (ماريلند، ديلاويز، وبنسيلفانيا) يخص أفراد أو شركات تولون هم تعيين حكامها . كان لهذا الحاكم سواء عينه الملك أم أصحاب المستعمرة سلطة واسعة فهو الذي يدعو المجلس التمثيلي للمستعمرة للاجتماع ويتولى الاشراف على شؤون الأمن وإدارة القوات المحلية . وكان يساعد الحاكم مجلس استشاري يضم اثني عشر عضواً معينين من قبل السلطة التي عينت الحاكم وسلطة هذا المجلس استشارية وفي بعض الأحيان كان يقوم بدور السلطة القضائية العليا في المستعمرة . أما السلطة التشريعية الأساسية فكانت بيد المجلس التمثيلي الي يجري اختيار أعضائه بالانتخاب العام من قبل سكان المستعمرة . وكان للملك في بريطانيا وللحاكم أيضاً سلطة النقض بالنسبة لقرارات هذا المجلس . وفي المجال المالي كان لسكان المستعمرات ممثلين بمجالسهم المنتخبة سلطة واسعة وهذا ما ساعدهم إلى حد كبير على الوقوف بوجه سلطات الحاكم الكبيرة اذا وجدوا في تصرفاته ما يخالف رغباتهم ومصالحهم . وقد حاولت الإدارة الاستعمارية ولفترة طويلة وضع الموارد المالية الأميركية تحت اشراف خزينة التاج الملكي في لندن ولكن دون نتيجة . وكثيراً ما كان السكان يفرضون إرادتهم على الحاكم إذ يهددونه بالتوقف عن دفع مرتبه ومرتب سائر الموظفين ما لم يوافق على مطالبهم .

أما برلمان انكلترا فكانت له من الناحية الدستورية السلطة العليا في مجال التشريع في كل انحاء الإمبراطورية ومنها بالطبع المستعمرات الأميركية – ما عدا الشئون الضرائبية – ولكن رغم هذا فان قراراته قليلاً ما كانت تصل إلى أميركا وتنفذ فيها نظراً نبعد المسافة واختلاف البيئة وظروف الحياة .

وهكذا نرى أنه حتى قبل استقلال المستعمرات بقليل فإن السكان لم يكونوا يشعرون، بوطأة الحكم البريطاني من الناحية السياسية . ولعل هذا ما جعلهم يحافظون على ولائهم للملك والتمسك بانتمائهم سياسياً للإمبراطورية البريطانية .

إلا أننا نستطيع أن نميز في المجال السياسي اتجاهات جديدة عند ستاد الأميركيين أخذت تظهر بعد سنة 1763 بوضوح أكثر، لتميزهم عن سكان الجزر البريطانية .

1- نظراً لبعد المسافة وللوقت الطويل الذي تتطلبه مراجعة الإدارة المركزية في لندن في أمور المستعمرات فإن السكان أخذوا مع الوقت يمارسون حل مشاكلهم بأنفسهم ويعتادون معالجة الأمور السياسية بصورة مستقلة . وكثيراً ما كانوا يشعرون نظراً لفقدان الرقابة الصحيحة من قبل حكومة لندن، إن سلطة الحكومة المركزية لم تكن تمارس على الأغلب من أجل الصالح العام وإنما من أجل مصلحة فئة من المحظوظين والمقربين من البلاط . وهذا كان يخلق عندهم الشعور بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية وأن حكومة لندن لا تعاملهم على قدم المساواة مع سكان الوطن الأم ولا تأخذ مصالحهم الخاصية بعين الاعتبار .

2- واجه سكان المستعمرات منذ وجودهم في الأرض الجديدة ظروفاً قاسية وشديدة فرضت عليهم التعاون المخلص دون النظر إلى طبقاتهم أو أديانهم وهذا ما خلق عندهم مع الأيام شعوراً بالمساواة بين السكان . يضاف إلى ذلك أنهم مارسوا طيلة أيام الاستعمار البريطاني حق الانتخاب دون تمييز طبقي . فالجميع في أميركا ينتخبون تقريباً لأن الجميع يملكون بينما في انكلترا لا ينتخب إلا من كان يملك مقداراً معيناً من الأرض . وهذا ما جعل سكان المستعمرات الاميركية يفكرون سياسياً بصورة أكثر ديموقراطية وأقرب للمساواة والحرية مما كان سائداً في بريطانيا ومما كان يقبله نظامها الملكي التقليدي .

3- إن عدم تمثيلهم في البرلمان البريطاني كان يعطيهم الشعور بالنقص تجاه سكان الوطن الأم وبأن مصالحهم غير مصانة في لندن وصوتهم غير مسموع في برلمانها خاصة وإن الموظفين الإنكليز الذين كانت ترسلهم حكومة لندن كانوا يعاملونهم وكأنهم مواطنون من الدرجة الثانية . ولذا فإن الموظف الإنكليزي لم يكن يعامل باحترام كبير بل على العكس كانوا ينتقدونه بشدة . وكثيراً ما كان سكان المستعمرات يعلقون على تعيين أحد الحكام بقولهم ((ليست المستعمرة هي التي تحتاج الحاكم وإنما هناك مقرب من البلاط بحاجة لمرتب مرتفع)) . ولعل مرد ذلك أن احداً من هؤلاء الحكام لم يكن يهتم بشؤون المستعمرات بصورة جدية ويعمل على حماية مصالها .

هذه الأمور التي أخذت تظهر بوضوح أكثر في السنوات التي تلت صلح باريس دلت على وجود عقلية سياسية في طريق التكامل كان لا بد أن تودي عاجلاً أو آجلاً إلى تكوين شعور وطني أميركي خاص .

الحالة الاقتصادية:

إن الخط الأساسي في اقتصاد هذه المستعمرات هو الازدهار المتزايد وليس أدل على ذلك من التزايد السريع في السكان الذي شهدته هذه المستعمرات قبل الاستقلال . فبينما كان عدد السكان في سنة 1690 يبلغ مائتا ألف إذا به يناهز المليونين في سنة ١٧٧٠ . ثم إن مما يميز هذا الاقتصاد هو أنه كان يقوم، وحتى مطلع الاستقلال على دعامتين أساسيتين: الزراعة، والصيد، فالمدن قليلة، ففي سنة ١٧٧٠ لم يكن هناك سوي خمس مدن يزيد تعداد سكان كل منها عن ثمانية آلاف . ولم يكن سكان المدن إجمالاً يمثلون أكثر من 3.8% من مجموع السكان . كان تسعة أعشار السكان يمارسون زراعة الأرض . وكانت الزراعة موجهة منذ البداية نحو غاية أساسية هي سد حاجات الوطن الأم . فالعناية الأهم كافته توجه نحو انتاج الخمر لسد حاجات السوق الانكليزية فلا تعود بحاجة لاستيراده من فرنسا، والبهارات للاستغناء عن خدمات تجار البرتغال، والخشب لكي لا يضطر الانكليز لاستيراده من السويد .

وكان على الأميركيين أن يعملوا على سد حاجات السوق الانكليزية من الفراء والجلود، والكتان فالتوجيه الأساسي للزراعة الأميركية كان يقضي بأن تكون المستعمرات منتجة للمواد الأولية التي تحتاجها السوق الانكليزية ومستهلكة لما ينتجه الوطن الأم . فواجب المستعمرات بالدرجة الأولى أن تقدم لأسواق الوطن الأم ما كانت مضطرة لاستيراده من بلدان أخرى وذلك كوسيلة لمنع خروج النقد الانكليزي خارج الامبراطورية .

وأهم الزراعات التي مارسها الأميركيون زمن الاستعمار في أواسط البلاد الذرة كما أنهم لاقوا نجاحاً باهراً في تربية المواشي وانتاج الألبان . أما في شمال البلاد حيث كانت تكثر المزارع الصغيرة والزراعة كانت تعمل على مد السكان بحاجياتهم الأساسية من الخضار والحبوب والصوف والكتان . وفي الجنوب حيث المساحات واسعة جداً والمياه وفيرة فالزراعة الأكثر انتشاراً كانت التبغ بقصد تصديره إلى أسواق انكلترا . ومنذ منتصف القرن الثامن عشر أخذ المزارعون في الجنوب يتجهون

نحو انتاج الأرز والقطن والكتان والقنب والحرير وقد حققت زراعة الأرز بصورة خاصة نجاحات باهرة .

هذا التوسع السريع في مجالات الزراعة كانت تعرقله صعوبة الحصول على اليد العاملة الرخيصة الأجر . لقد حاول المهاجرون الأوائل استغلال الهنود كعمال زراعيين إنما دون نتيجة ايجابية نظراً لشدة تمسكهم بحريتهم ونمط حياتهم القبلي . أما المهاجرون الجدد من أوروبا وهم كثيرون دائماً فكانوا يرفضون في أغلب الأحيان العمل المأجور ويسعون للاستقرار والعمل لحسابهم الشخصي فهم هجروا بلادهم طلباً للحرية والثروة لا ليكونوا مأجورين ومستثمرين . وقد وجد الأميركيون حلاً لهذه المشكلة كل على طريقته وحسب ما تقضيه طبيعة أرضهم وظروفهم، فسكان المناطق الغربية اعتمدوا على أنفسهم وعلى تعاونهم المتبادل وفي المناطق الساحلية كانوا يدفعون لبعض المهاجرين الجدد أجرة سفرهم مقابل عملهم مدة محددة .

أما في الجنوب فإن تجارة الرقيق قد حلت لدرجة كبيرة مشكلة اليد العاملة الزراعية . اذ أن جميع المزارع الكبيرة هناك كانت تعتمد على عمال من الزنوج قام بنقلهم تجار الرقيق من شواطئ أفريقيا الغربية . فبين سنتي 1750 و 1800 كان يصل البلاد الأميركية بين خمسين ألفاً إلى مائة ألف رقيق كان أكثرهم يرسلون إلى المزارع الكبرى في الجنوب . وقد عم الاعتماد في الزراعة على الرقيق الأسود بصورة خاصية مع انتشار زراعتي القطن والتبغ اللتان تحتاجان ليد عاملة غزيرة ورخيصة الأجر .

وكانت القاعدة في معاملة هؤلاء في القسوة الشديدة التي كثيراً ما وصلت الى درجة الوحشية . وفي أكثر المستعمرات الجنوبية تجسدت هذه القسوة بصورة قوانين وأنظمة تحول دون تطور هؤلاء وتطلعهم نحو مساواتهم بباقي سكان المستعمرات من العنصر الأبيض .

منذ الأيام الأولى للاستعمار الانكليزي لعب صيد الأسماك دوراً كبيراً في اقتصاديات المستعمرات. فأوروبا تستهلك كميات كبيرة من الاسماك – خاصة أيام الصوم الكثيرة في البلدان الكاثوليكية – لا تؤمنها لها بسهولة البحار القريبة منها . أما في أميركا فسمك البكالاو يغزو في شواء انكلترا الجديدة . وكذلك الحيتان التي كانت أوروبا تحتاج زيوتها فإنها كانت تعيش أمام الشواطئ الأميركية بأعداد كبيرة للغاية مما أدى إلى قيام أسطول بحري كبير مخصص لصيد الحيتان .

وعلى هذا فإن تصدير السمك المجفف وزيت الحيتان إلى أسواق أوروبا كان عنصراً أساسياً لاقتصاديات المستعمرات الشمالية والوسطي .

إلا أن هذا لا يعني ان منتوجات المستعمرات كانت تصدر بسهولة للخارج . فالحركة التجارية مع أوروبا والبلدان الأخرى خارج نطاق الامبراطورية البريطانية لم تكن سهله ذلك أن قوانين الملاحة تجعل النقل من وإلى المستعمرات الانكليزية احتكاراً لسفن انكلترا كانت تفرض على البضائع أن تمر سواء في ذهابها أو إيابها في مرفأ بريطاني لدفع ضريبة معينة على ما تحمله . هذه القوانين كانت تجعل أمر تصدير بضاع المستعمرات الوسطى والشمالية الى خارج الامبراطورية عملية صعبة . ولما كانت انكلترا لا تحتاج الى منتجات هذه المناطق الأسماك واللحوم والقمح وزيت السمك . فقد بات على التجار الأميركيين أن يصدروا بضائعهم هذه إلى دول أخرى ويشتروا بضائع أخرى تحتاج اليها أسواق انكلترا ليستبدلوها هناك بما يحتاجونه هم من سلع ومصنوعات. وهذه عملية معقدة كما ترى وليست ممكنة بصورة دائمة .

أما المستعمرات الجنوبية فكان لها وضع مختلف إذ كانت قوانين الاحتكار الصادرة سنة ١٧٧٢ تمنع تصدير منتجات هذه البلدان من التبغ والفراء والسكر والقطن لغير الأسواق البريطانية . إلا أن هذا الاحتكار لم يكن دوماً في صالح المنتج . ذلك أن هذا الأخير كان عليه أن يصدر بضائعه إلى انكلترا فقط ولما كان يمنع خروج النقود من انكلترا فكان عليه أن يشتري بأمواله مصنوعات وسلع بريطانية قد لا يحتاج اليها أو أن يبقي أمواله في الوطن الأم لمدة طويلة جداً دون أن ينتفع بها .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذه القوانين كانت تدفع ربابنة السفن الأميركيين وشركات النقل البحري في كثير من الأحيان إلى القيام بأعمال التهريب والمتاجرة مع أوروبا مباشرة مع ما في ذلك من تجاوز على الأنظمة . وقد أدت هذه العمليات نظراً لما كانت تدره من أرباح إلى ظهور ثروات كبيرة بين الأميركيين . ومن ناحية أخرى عملت على نشر الرشوة بين الموظفين الانكليز ورجال الجمارك . وفي مجال الصناعة فإن القوانين الانكليزية كانت تسعى لجعل المستعمرات فقط سوقاً استهلاكية لمصنوعات الوطن الأم . ولهذا فان عمليات تصنيع المواد الأولية في البلدان الأميركية كانت تحارب إلى حد كبير من جانب الإدارة الاستعمارية . فالصناعة بقيت حتى مطلع

عهد الاستقلال ضمن إطار الحِرف التي تمارس في المنازل والبيوت فقط . فالمرأة تنزل وتحيك ما تحتاجه عائلتها والرجل يصنع من الأدوات ما يحتاجه في منزله وعمله والصناعة الوحيدة التي ازدهرت زمن الحكم البريطاني كانت صناعة السفن وذلك بسبب وجود الأخشاب بكميات كبيرة وخاصة أن الأميركيين بسبب حاجتهم الماسة لسفن الصيد ولسفن النقل باعتبار النقل البحري كان أفضل وسائل الاتصال بين المستعمرات الثلاث عشرة، قد برعوا في هذه الصناعة حتى إن كثيراً من الربابنة الانكليز كانوا يشترون سفنهم من الترسانات الأميركية نظراً لجودة مصنوعاتها وانخفاض أسعارها . وقد بلغت نسبة السفن الأميركية الصنع في الأسطول التجاري البريطاني سنة ١٧٧٥ الثلث تقريباً .

وقد حظيت صناعة الجلود والفراء بازدهار نسبي أيضاً . إلا إنه بصورة عامة لم تخرج الصناعة الأميركية طيلة عهد الحكم البريطاني من الإطار الحرفي المنزلي وذلك بسبب التوجيه الانكليزي والرغبة في إبقاء البلاد سوقاً استهلاكية للمصنوعات الانكليزية .

الحالة الاجتماعية:

مع أن العنصر الساكسوني هو الغالب في مجتمع المستعمرات الأميركية إلا أنه كانت هناك فئات أخرى انضمت اليه طائعة أو مختارة . فكان هناك . سكان البلاد الأصليين (الهنود الحمر) وكانوا يسيطرون على المناطق الداخلية من البلاد . غير أن سيادتهم هذه كانت في تقلص مستمر منذ مطلع القرن الثامن عشر بسبب تزايد هجرة الرجل الأبيض من العالم القديم و توسعه غرب المستعمرات القديمة على حساب هذه الفئة، كما أن دورهم في المجتمع الجديد كان صغيراً للغاية . وكانت هناك فتة الزنوج الذين دخلوا المجتمع الأميركي الجديد مكرهين . كان هؤلاء يشكلون طبقة خاصة ضمن المجتمع الأميركي وكانوا متمركزين على الأغلب في الجنوب حيث مزارع التين والأرز الضخمة . وعدد قليل منهم كانوا يسكنون في مناطق البلاد الوسطى والشمالية ويتعاطون الأعمال الدنيا التي كان يرفضها الأبيض . ولم تكن لهؤلاء أية حقوق قانونية كما لم يكن يعترف لهم بأي من الحقوق الطبيعية التي كان يتمتع بها الرجل الأبيض في المجتمع الأميركي، كانوا بصورة عامة يعيشون حياة بائسة شقية، وقد حاولت بعض الولايات أن تحارب تجارة الرقيق إلا أن السلطة الانكليزية قضت على هذه المحاولات حفاظاً على مصالح تجار الرقيق الذين كان أكثرهم

من الإنكليز . وبالرغم مما يوجه من انتقادات لهذا النظام فإنه صار مع الأيام الركيزة الأساسية (التي يقوم عليها (اقتصاد المستعمرات الجنوبية .

وكانت هناك طبقة أخرى لا تحظى بمقام محترم في هذا المجتمع الجديد، وهي فئة المشردين والمجرمين الذين كانت تبعدهم حكومة لندن أو أهلهم الى المستعمرات وكان هؤلاء يتكلمون إجمالاً فئة شغب واجرام في العالم الجديد . إلا أن القوانين كانت قاسية تجاههم مما جعل خطرهم محدوداً للنهاية . أما الفئة الصالحة منهم فإن مجال العمل والثروة كان مفتوحاً أمامها بسبب الحاجة لليد العاملة .

كانت هناك طبقة البيض وهم السادة الحقيقيون للبلاد . ويتألف هؤلاء من فئات المهاجرين الأوروبيين الذين أخذوا يتوافدون على البلاد منذ مطلع القرن السابع عشر . كان هؤلاء يمتلكون الأراضي والمزارع ويسيطرون على التجارة وصيد الأسماك . وبعبارة موجزة كانت منافع البلاد كلها تستغل لصالحهم .

ومن بينهم كانت في شمال البلاد فئة من رجال الدين والقانون امتازوا بالثروة وبشيء من الثقافة تنفرد بالسيطرة على شؤون الحكم وعلى المجاس التمثيلية . وكان هؤلاء يشكلون إلى حد ما درجة عليا في المجتمع الأميركي . أما في الجنوب والطبقة الممتازة كانت تتألف بالدرجة الاولى من كبار ملاكي الأرض . إلا أن وجود هذه الفئات الممتازة لا يعني بالضرورة أن مجتمع المستعمرات هذه قد عرف نظام الطبقات بحدوده ونظمه كما كان يمارس في أوروبا . بل على العكس من ذلك فالمساواة كانت القاعدة والأساس وأي مواطن يشعر بالظلم والغبن كان يمكنه أن يترك بلده ويتجه نحو الحدود الغربية فيعمل مع الرواد الذين يتوسعون داخل البلاد . إذ هناك يتساوى الناس فعلاً وتزول الفروقات وتصبح القاعدة الأساسية في الحياة والتعامل الشجاعة والإخلاص في العمل . كما تفتح أمامه أبواب الثروة والفنية ومع الوقت أخذت هذه الفئات تتفاعل مع بعضها البعض ومع الأرض الجديدة وما يحيط بها من ظروف جغرافية ومناخية وحياتية وتعمل على إعطاء مكان المستعمرات وبصورة متزايدة، ميزات وخصال تميزهم عن سكان الجزر البريطانية رغم تمسكهم الشديد بالحضارة وطريقة الحياة الانكليزية . والواقع أن هذه الميزات أخذت تظهر بشكل واضح ومتزايد منذ مطلع القرن الثامن عشر شاملة كل مجالات الحياة .

فاللغة التي سادت البلاد كانت الانكليزية رغم وجود جاليات فرنسية وألمانية واسكندنافية . إلا أن سكان هذه المستعمرات في مواجهتهم ا لظروف واوضاع جديدة قد اضطروا مع الايام لصياغة كلمات جديدة تلبية لحاجات جديدة كما أنهم اضطروا أحياناً لاستعمال كلمات انكليزية للدلالة على أشياء ومعاني غير المتعارف عليها بين الانكليز الاصليين حتى أنه تكونت مع الأيام ما يمكن تسميته ((اللهجة الأميركية)) والتي كان الأميركيون يصرون على استعمالها رغم ما في ذلك من إساءة لمشاعر الانكليز .

ومع نشوء لهجة جديدة ظهرت أيضاً ثقافة متأثرة بطبيعة البلاد وحاجات السكان . صحيح أن ثقافة البلاد الأميركية حتى القرن الثامن عشر كانت انكليزية اللغة والمضمون إلا أنها أخذت بصورة تدريجية تعالج – مواضيع لها صلة بواقع البلاد الجديدة وباحات السكان حتى بات من الممكن في أواخر القرن الثامن عشر الحديث عن ((ثقافة اميركية)) متميزة عن الثقافة الانكليزية، خصوصاً وأنه قد بات لسكان العالم الجديد أدبهم وصحفهم ومجلاتهم ومعاهدهم . وبالرغم من أن أكثر هذه المؤسسات كانت تقليداً لما هو موجود في الوطن الأم إلا إنها وجدت وقامت أصلاً لخدمة أهداف وغايات مرتبطة بمصالح سكان البلاد الجديدة .

وحتى في مجال المعتقد الديني فقد ظهرت عند الأميركيين اتجاهات جديدة بالنسبة لسكان الوطن الأم . فالمنشقون الذين هجروا بلادهم بحثاً عن الحرية وعن أرض يمارسون فيها عبادة الله كما يريدون هم لا كما تريد كنيسة لندن الأسقفية كانوا يعارضون أشد المعارضة في امتداد سلطة هذه الكنيسة الى العالم الجديد .

هذه الظروف مجتمعة كان لا بد أن تؤدي بسكان العالم الجديد إلى سلوك طريق أخرى، حتى ولو لم يكونوا يريدون ذلك تقودهم نحو الابتعاد عن الوطن الأم . وقد بدأ يظهر هذا الاتجاه بعد سنة 1763 .

استقلال الولايات المتحدة الأميركية

معاهدة سنة 1763 أعطت السيادة المطلقة على النصف الشمالي من قارة أميركا للعرش البريطاني إلا أنها طرحت أمام حكومة لندن سلسلة طويلة من المشاكل والقضايا لم يكن من العسير حلها . فالحكومة الانكليزية اعتبرت انتصارها في حرب السبع سنوات نقطة تحول في

تاريخ علاقاتها بمستعمراتها الأميركية . فأحداث الحرب ونتائجها فرضت على هذه الحكومة رسم سياسة جديدة لها في مستعمراتها . وقد جاءت هذه السياسة الجديدة بخطوطها الأساسية متعارضة إلى حد كبير مع رغبات السكان في المستعمرات ومصالحهم الرئيسية مما أدى الى توالي سلسلة من المشاكل والخلافات أوصلت الفريقين في النهاية إلى القطيعة السياسية فالحرب وهي أمور لم يكن أحد في سنة 1763 يريدها أو يعتقد بإمكانية الوصول اليها . وسنعرض هنا أهم الأسباب التي أدت إلى القطيعة فالاستقلال وكيف كان كل من الفريقين ينظر إلى الأمور خلال الفترة الممتدة من سنة 1763 حتى الاستقلال .

لقد برز في لندن مع ملكية جورج الثالث الذي خلف جده جورج الثاني سنة 1760 على عرش انكلترا اتجاه جديد في سياسة الدولة يقول بضرورة تقوية السلطة المركزية وبالتالي ربط سياسة الامبراطورية كلها بالعرش . وكمقدمة لذلك فإنه احتفظ بوسائل ملتوية وغير شرعية لأصدقائه من حزب المحافظين بأكثرية المقاعد في برلمان لندن مما جعله يسيطر بصورة عملية على البرلمان وبالتالي على الحكومة وبذلك أمكنه ولفترة طويلة أن يحكم البلاد بصورة ديكتاتورية . وأخذ يتدخل بشؤون المستعمرات متجاوزاً صلاحياته . للعمل على ربطها مباشرة به . وبما أنه لم يكن لبريطانيا بالفعل قبل سنة 1763 سياسة ثابتة مستقرة حيال مستعمراتها الأميركية فإنه أراد العمل على تقوية سلطات البرلمان البريطاني في هذه المستعمرات على حساب حرياتها التقليدية الموروثة . ذلك أن حرب السبع سنوات قد كشفت عن مدى ضعف الرابطة بين هؤلاء السكان وبين حكومة لندن . فهم لم يلتزموا كثيراً بهذه الحرب رغم كل الوسائل التي استعملت لإذكاء حماسهم . فمساعداتهم لحكومتهم كانت ضئيلة ومساهمة محاربيهم غير فعالة بل أن تجارهم استمروا في تعاملهم مع العدو الفرنسي . وبعبارة أوضح اعتبروا أن هذه الحرب تخص فقط حكومتي انكلترا وفرنسا وليس لهم بالتالي أي علاقة بها .

إن انتصار الانكليز في سنة 1763 ألقى على عاتقهم مهمات متزايدة في أميركا (فهم باتوا ملزمين بالدفاع عن الحدود الغربية للمستعمرات ضد هجمات الهنود وهذا يفرض عليهم ابقاء قوات عسكرية كبيرة بصورة دائمة عند هذه الحدود ولما كان سكاني كندا والاراضي التابعة لها في وادي الميسيسبي هم من الفرنسيين فإن هذا فرض على الحكومة الانكليزية أيضاً مهمة مراقبة هؤلاء

السكان من ناحية والاهتمام بإدارة شؤونهم من ناحية أخرى . هذه الالتزامات الجديدة فرضت على الحكومة الانكليزية إبقاء عشرة آلاف جندي بصورة دائمة في أميركا وهذا يكلف مبالغ طائلة من المال . فلا بد إذاً من إشراك سكان هذه المستعمرات بمصاريف الإمبراطورية البريطانية المتزايدة . ذلك أن الضرائب التي كان يدفعها هؤلاء قبل سنة 1763 للحكومة البريطانية كانت ضئيلة للغاية . وكانوا يكتفون بدفع الضرائب لحكوماتهم المحلية . وهنا لا بد من الإشارة إلى أن قوانين الملاحة والاحتكار التي صدرت بين سنتي 1651 و 1673 كان الهدف منها بالدرجة الأولى القضاء على منافسة الأسطول التجاري الهولندي للأسطول الانكليزي من ناحية ومن ناحية أخرى فرض المبدأ التجاري الذي يبقي المستعمرات منتجة للمواد الأولية الضرورية لأسواق الوطن الأم وسوقاً استهلاكية لمنتجاته الصناعية ولهذا فان حاصلات الخزانة الإنكليزي حتى 1763 من ضرائب تجارة المستعمرات الأميركية كانت ضئيلة للغاية . يضاف إلى ذلك أن تجار المستعمرات لم يكونوا شديدي الاحترام لهذه القوانين . فعدم احترام القوانين في أميركا في القرن الثامن عشر كان شيئاً عادياً ومألوفا، خاصة وأن السلطات البريطانية لم تكن تتشدد كثيراً في زمن الحروب في تطبيق هذه القوانين تاركة لتجار مستعمراتها امكانية التعامل مع المستعمرات الإسبانية والفرنسية في أميركا الوسطى ما دام هذا التعامل لا يؤدي إلى تغيير في الخط الأساسي للاقتصاد الأميركي . فحاصلات الضرائب التي كانت تصل الخزانة البريطانية لم تكن تكفي قبل سنة 1763 حتى لدفع مرتبات رجال الجمارك .

ثم أن سياسة جورج الثالث القاضية بتنظيم أمور الامبراطورية الواسعة الارجاء بشكل يسهل الدفاع عنها ويوفق بين مصالح أقطارها المختلفة قضى بتوزيع مصاريف الإدارة الاستعمارية بالتساوي خاصة وإن بريطانيا لم تكن آنذاك في وضع مالي حسن إذ أنها تكبدت خلال حرب السبع سنوات مصاريف باهظة جعلت ديونها ترتفع سنة 1764 إلى سبعين مليوناً من الجنيهات الذهبية .

وتنفيذا لهذه السياسة العامة كان لا بد أن تفرض ضرائب من قبل حكومة لندن وبرلمانها على الأميركيين وأن يوضع برنامج خاص لتحسين وسائل الجباية وجعل جميع الأميركيين يساهمون في مصاريف الامبراطورية وعلى هذا الأساس أصدرت حكومة لندن سنة 1764 قانون السكر الذي

كان يهدف الي زيادة مداخيل الخزانة من الضرائب . وبموجب هذا القانون فرضت ضرائب جمركية على العسل والنبيذ والحرير والبن وبعض الكماليات الأخرى . كما صدرت التعليمات لرجال الجمارك بأن يظهروا مزيداً من الدقة والنشاط في تنفيذ أحكام هذا القانون وطلب من السفن الانكليزية العاملة في البحار الأميركية أن تكافح أعمال التهريب وأن تتولى تفتيش الأماكن المشبوهة .

والواقع أن مضمون هذا القانون لم يزعج إلا الأميركيين كثيراً من الناحية المالية إنما ساءهم إلى حد كبير ما وجدوا فيه من تعد دستوري على حقوقهم . ذلك أنه قد ورد في ديباجة المشروع أن هذا القانون قد فرض ((لتحسين دخل المملكة)) وهذا يعتبر تعدياً على حقوق المستعمرات التقليدية التي كان لمجالسها وحدها حق فرض الضرائب . وقد استغل معارضو الحكم البريطاني هذه الظاهرة لتأليب الناس ضد حكومة لندن .

وفي سنة 1765 تقرر فرض ضريبة يخصص حاصلها لتسديد مصاريف الدفاع عن المستعمرات عرفت باسم ضريبة التمغة وهذه طرية شائعة آنذاك في كل بلدان العالم كما أن باقي سكان الامبراطورية وأبناء انكلترا أنفسهم كانوا يدفعونها دون معارضة . وتقضي هذه الضريبة الصادرة بان يلصق طابع يتراوح ثمنه بين ستة بنسات Stamp Act بموجب القانون المعروف باسم وستة جنيهات على الصحف والمجلات والوثائق والمستندات التجارية وعقود البيع والرهن . لقد أثار هذا القانون عاصفة شديدة من المقاومة عمت كل أرجاء المستعمرات الثلاث عشرة . ومما زاد في الضجة التي أثيرت ضد القانون المذكور كونه أصاب بالدرجة الأولى رجال الصحف والكتاب ورجال المال والأعمال ولهؤلاء كما هو معروف نفوذ قوي وقدرة كبيرة على الكلام والخطابة والتأثير في الرأي العام . وأخذت ولاية فرجينيا زمام المبادرة في معارضة هذه القوانين الضرائبية إذ أعلن مجلس المواطنين فيها أنه ما من أحد يحق له أن يفرض الضرائب على أهل فرجينيا غير مجلسها التمثيلي . ثم انتقلت العدوى إلى ماساشوستس حيث قاد المحامي (جيمس اوتيس) حملة ضد القوانين الجديدة . ولم تلبث روح المعارضة أن انتشرت في كل انحاء البلاد وتشكلت جماعات أطلقت على نفسها اسم ((أبناء الحرية)) أخذت تدعو لمقاومة الضرائب الجديدة .

ولم يلبث مجلس ماساشوستس أن دعا المستعمرات إلى إرسال مندوبين عنها لحضور مؤتمر يعقد في نيويورك للنظر في أخطار قانون التمغة، وحضر هذا المؤتمر الذي عقد في تشرين أول سنة

1765 سبعة وعشرون مندوباً يمثلون تسع ولايات فأعلنوا معارضة بلدانهم لتدخل البرلمان البريطاني في الشؤون الأميركية . كما أصروا على أنه لا يمكن أن تفرض الضرائب إلا بواسطة مجالس المستعمرات التمثيلية .

والواقع أن للمعارضة القوية لقانون التمغة سببين رئيسيين: الأول دستوري ومؤداه أن الأميركيين يرون أنه لا يحق للبرلمان البريطاني أن يفرض عليهم ضرائب طالما أنهم غير ممثلين فيه وذلك عملاً بالمبدأ البرلماني البريطاني القديم الذي ينص على أن الضرائب لا تفرض إلا بموافقة الشعب ممثلاً بنوابه . والسبب الثاني هو أن رغبة الانكليز في تقوية الرقابة المالية والجمركية في المستعمرات تؤدي للمحافظة على المبدأ التجاري الذي يقضي بجعل الاقتصاد الأميركي ملحقاً ومتمماً للاقتصاد الانكليزي . وفي هذا أضرار كبير بمصالح رجال الأعمال والتجار وأن السفن الذين جمعوا ثروات طائلة أثناء حرب السبع سنوات، بل وقبلها عن طريق تجاهل قوانين الملاحة الانكليزية والتعامل مع المستعمرات الفرنسية والهولندية والإسبانية في أميركا الوسطى .

وأمام تزايد العداء لهذه القوانين في أميركا ومقاطعة التجار الأميركيين لبضائع انكلترا وبفضل تدخل التجار الانكليز الذين تأثروا بهذه المقاطعة خضع برلمان انكلترا للضغط وتراجع عن قانون التمغة كما عدل الكثير من مواد قانون السكر . إلا أنه في الوقت نفسه أقر قانوناً يؤكد على صلاحية البرلمان الانكليزي لفرض الضرائب على المستعمرات .

سلسلة من القرارات تقضي :(Townshend) وهكذا أصدر وزير المالية البريطانية تاونشند بفرض ضرائب على الورق والشاي والزجاج والرصاص المستورد إلى المستعمرات على أن يستعمل حاصل هذه الضرائب لدفع مرتبات الحكام والموظفين الانكليز هناك .

ولم تلبث أن ارتفعت الصيحات من جميع أنحاء البلاد ضد القوانين الجديدة وقام الزعيم الأميركي (صاموئيل آدامز) يدعو المستعمرات للعمل ضد القوانين الجديدة . ثم قامت حركة مقاطعة البضائع الانكليزية مما أساء كثيراً إلى حكام لندن . وكانت المعارضة لهذه القوانين عنيفة في بوسطن وهي مركز تجاري مهم اذ هاجم السكان موظفي الجمارك حين حاولوا تنفيذ القوانين الجديدة مما جعل حكومة لندن ترسل فصيلتين من الجند للمدينة . وقد سبب وجود الجنود الانكليز في المدينة هياجاً دائماً انتهي بما يسمى ((مذبحة بوسطن)) التي وقعت في 5 مارس (آذار) سنة ١٧٧٠

والتي وقع فيها ثلاثة قتلى من الأميركيين . إلا إن اخصام السياسة الإنكليزية استغلوا هذا الحادث لدرجة كبيرة في كل أنحاء البلاد .

وأمام تزايد معارضة الأميركيين لهذه الضرائب وبفضل تدخل رجال الأعمال الانكليز الذين تأثرت تجارتهم بالمقاطعة الاميركية التي جعلت صادرات انكلترا للمستعمرات تنخفض للنصف تراجع برلمان لندن وألغي ضرائب (تاوتشند) ما عدا ضريبة واحدة هي الضريبة على الشاي التي أصر ((الملك جورج الثالث على الاحتفاظ بها ((ليبقى حق فرض الضرائب قائما .

وقد ساد الهدوء عقب ذلك المستعمرات لمدة ثلاث سنوات واخذت العلاقات تتحسن تدريجياً مع الوطن الأم مما أفسح المجال أمام العناصر المعتدلة للعمل على إقرار السلام . ذلك أن المواطن العادي حتى هذا التاريخ لم يكن قد اتجه نحو فكرة الانفصال النهائي عن الامبراطورية . كما أن فئة المتمولين كانت ميالة للتفاهم مع البريطانيين وكبح جماح العناصر الثورية والمتطرفة، على أن لا يؤدي ذلك للإضرار بمصالحها التجارية .

الا أن فئة الوطنيين ظلت تناضل ضد بقاء ضريبة الشاي وتعمل على الغائها وبالتالي على إلغاء مبدأ حق البرلمان الانكليزي في فرض ضرائب على المستعمرات . وقتي تجاوب الأميركيون عامة مع الدعوة لمقاطعة الشاي الانكليزي وأقبلوا على شراء الشاي المهرب من المستعمرات الهولندية رغم ارتفاع ثمنه . وذلك لإظهار اصرارهم على معارضة رغبة الملك في التدخل في شؤون المستعمرات .

:حفلة شاي بوسطن

إن الهدنة في العلاقات بين الأميركيين وحكومة لندن لم تلبث أن انتهت بسبب سوء تصرف لندن. ذلك أن شركة الهند الشرقية كانت سنة 1773 تجتاز أزمة مالية حادة فمنحتها الحكومة حق احتكار بيع الشاي في المستعمرات ولما كان أكثر الشاي المستهلك في أميركا مهربا فقد عمدت إلى تخفيض أسعارها بشكل جعل التهريب غير مربح مما شل أعمال التجار المحليين وجعلهم يثورون ضد مبدأ الاحتكار الجديد وينضمون لفئة الناقمين الناشطة بقيادة آدامز . وقد بادرت جميع المستعمرات المقاومة تدابير الشركة ورفض وكلاؤها تصريف بضائعها كما أعيدت شحنات كثيرة من الشاي الى المرافئ الانكليزية . وأمام إصرار حاكم بوسطن الانكليزي على تفريغ كمية

من الشاي وصلت على متن ثلاث سفن بادرت فرقة من الوطنيين متنكرين بزي الهنود تحت قيادة آدامز الى دخول السفن والقاء حمولتها من الشاي في البحر وكان ذلك ليل 16 (أيلول) سبتمبر ((سنة ١٧٧٣ . وتعرف هذه الحادثة في التاريخ الأميركي باسم ((حفلة شاي بوسطن . وقد أثار هذا العمل العنيف موجة عارمة من الاستياء في بريطانيا . حتى أن تلك الفئات المتحررة التي اعتادت أن تقف إلى جانب الأميركيين وتدافع عن قضيتهم من أمثال الزعيم (وليم بت) ساءها هذا التصرف الذي وصفته بالهمجية . وبالطبع فإنه لم يكن بإمكان الملك جورج الثالث وبرلمان لندن التساهل حيال هذا الحادث باعتبار أن شركة الهند الشرقية أرسلت بضائعها إلى أميركا تنفيذاً لقانون أقره البرلمان وأي تراجع عنه يبدو أمام العالم بمثابة اعتراف بزوال سلطته عن المستعمرات . ولذا فقد عمل الملك على جعل البرلمان يقر خمسة قوانين تعرف باسم القوانين الجائرة للرد على تصرف سكان بوسطن . ويقضى أول هذه القوانين بإغلاق مرفأ بوسطن حتى يتم دفع ثمن الشاي . كما أعطى حق تعيين مستشاري مستعمرة مساشوستس للملك بعد أن كانوا ينتخبون من قبل السكان . وأحد هذه القوانين يعطي الجيش الانكليزي المرابط في المستعمرات . سلطة مصادرة الفنادق والخانات والمنازل لإسكان جنوده

:قانون كويبك

وفي سنة 1774 أصدر البرلمان البريطاني قانون ((كوبيك)) الذي كان له اسوأ الوقع عند الأميركيين عامة . ذلك أنه جاء لتنظيم أوضاع الأراضي التي غنمتها انكلترا من فرنسا في الحرب والواقعة بين المستعمرات الانكليزية ونهر المسيسبي . لقد أظهرت بريطانيا منذ سنة 1763 برغبتها في تنظيم أمور هذه الأراضي بطريقة أكثر حزماً وانضباطا مما أظهرته حتى ذلك الوقت في مستعمراتها الأميركية . كما فرضت قابة قوية على التوسع في هذه المناطق وجعلت شراء الأراضي والإقامة فيها يخضع لإجازة خاصة . وقد هدفت من ذلك إلى وضع هذه الأراضي تحت سلطان حكومة لندن المباشر وذلك من جهة لكي لا تبقى سكانها من الهنود تحت رحمة الرواد الأميركيين والمتاجرين بالأراضي، ومن جهة ثانية لكي تحول دون قيام سلسلة من المنازعات بين المستعمرات حول السيطرة عليها . إلا أن الإنكليز لم يوفقوا في أن يفرضوا سلطانهم كما أرادوا ولم تمنع قوانينهم سكان المستعمرات من امتلاك مساحات شاسعة في الأراضي الداخلية .

لقد أعطى هذا القانون أيضاً أراضي كندا الفرنسية حكومة خاصة لإدارة شؤونها وضمن لها احترام قانونها المدني الفرنسي وكنيستها الكاثوليكية . كما أنه جعل حدودها تضم كل الأراضي الغربية الواقعية بين نهر اوهايو والبحيرات الكبرى مما أثار غضب الأميركيين لدرجة كبيرة إذ أنه أقام بوجههم سداً يحول دون توسعهم في الغرب وأقام على حدودهم دولة فرنسية للكنيسة الكاثوليكية فيها مركز ممتاز . يضاف إلى ذلك إلي أن هذا القانون قد قضى على آمال الكثيرين منهم الذين كانوا يطمعون بالأراضي غربي جبال اليفاني التي كانت قد وصلتهم أخبار غناها خصبها.

مؤتمر فيلادلفيا:

هذه الإجراءات وخاصة القوانين الجائرة أعطت نتائج معاكسة لما كان يرجوه منها الانكليز. فإن مستعمرة ماساشوستس لم تخضع بل أن المستعمرات الأخرى هبت لمساعدتها وتأييدها . كما اقترح نواب فرجينيا دعوة مندوبي المستعمرات للاجتماع في ايلول سنة 1774 في مدينة فيلادلفيا. ولما كانت قد تشكلت لجان دائمة في كل مستعمرة منذ سنة ١٧٧٣ مهمتها القيام بالدعاية ضد القوانين الانكليزية والدعوة للتعاون بين المستعمرات دفاعاً عن مصالحها السياسية والاقتصادية فإن الشعب الأميركي كان مهيأ للتعاون مع ماساشوسيتس والدفاع عن قضيتها . وقد لبت جميع المستعمرات ما عدا جورجيا الدعوة، واجتمع ستة وخمسون مندوباً يمثلون اثني عشرة مستعرة . ولقد أقر المؤتمرون منذ البداية مبدأ عدم الرضوخ للقوانين الجائرة ثم وضعوا نص إعلان الحقوق والمظالم لشعب المستعمرات كما وجهوا طلباً للملك بإلغاء الضرائب . وبانتظار تحقيق ذلك أقروا إعادة المقاطعة التجارية للبضائع البريطانية وتنظيم لجان في كل المدن لتنظيم عملية المقاطعة والإشراف على الجمارك .

وهذا نرى أن الكونغرس الأول للشعب الأميركي قد خرج بعد مداولات دامت سبعة أسابيع بمقررات على درجة كبيرة من الاعتدال، كما أن المجتمعين أنكروا أنهم يريدون الاستقلال أو يفكرون فيه . إلا أن الملك . (جورج الثالث) لم يستطع أن يدرك المغزى الحقيقي لهذا الكونغرس كما أنه لم يستطع أن يدرك التحولات التي كانت تطرأ تدريجياً على مفاهيم الأميركيين ومصالحهم القومية والسياسية . والواقع أنه رغم كل ما حصل فإن أغلبية الشعب الأميركي كانت لا تزال ميالة للمحافظة على علاقاتها بالإمبراطورية، ولو أن الملك أظهر آنذاك شيئاً من التفهم والرغبة في

المصالحة لربما أمكن تفادي الكثير منا حدث بعد ذلك . إلا أن تمسك ملك انكلترا بموقفه المتعنت . أدى التي تصاب الفئات الوطنية في أميركا وجعلها تتجه نحو العنف لتحقيق مطالبها

وأمام إصرار الحكومة الانكليزية على تنفيذ مقرراتها الجائرة أخذ سكان ماماشوستن مستعدون للمقاومة المسلحة فأقاموا معسكراً عند مدينة كونكورد جمعوا فيه كميات من الأسلحة والبارود . كما أنهم أخذوا يميلون على تأليف ميليشيا للمستعمرة وتدريب أفرادها . ولما ترامت اخبار هذا قائد الحامية البريطانية في بوسطن أرسل في ١٨ (نيسان) Jage المعسكر الى مسامع جيج أبريل سنة 1775 قسماً من حاميته المصادرة الأسلحة واعتقال صموئيل آدامز الذي بات أبرز الزعماء الوطنيين . إلا أن الحملة وقعت في كمين صغير نصبه لها رجال الميليشيا عند مدينة وفي عودتها أيضاً من المعسكر إلى بوسطن تعرضت لهجمات من Lexington لكزنغتون الفلاحين والميليشيا كانت خسائر الانكليز فيها ثلاثة أضعاف خسائر رجال المستعمرات . ولم يلبث الانكليز أن وجدوا أنفسهم محاصرين بعد ذلك من قبل 16000 من رجال المستعمرات . وهكذا ظهر منذ البداية أن استجابة سكان المستعرة لنداء الحرب كان قوياً وعفوياً وفعالاً . ولم تلبث أخبار المعارك هذه أن انتشرت في جميع المستعمرات حيث بادر الوطنيون إلى طرد الحكومات الملكية واستلموا إدارة الأمور للدفاع عن بلدانهم . ومع هذا وحتى هذا التاريخ فإن فكرة الاستقلالي لم تكن قد طرحت وامكانية الوصول إلى حل سلمي ظلت موفورة لو أراد ذلك ملك انكلترا . جورج الثالث

مؤتمر فيلادلفيا الثاني

أيار سنة 1775 اجتمع الكونغرس الثاني في مدينة فيلادلفيا في جو من الحيرة والقلق وكان 10 أكثر أعضائه من تلك الفئة التي كانت لا تزال تؤمن بضرورة الإبقاء على العلاقات مع التاج البريطاني . وكان يرأس المؤتمر جون هانكوك وهو تاجر من بوسطن وقد حظره أيضاً بنيامين فرانكلين وجفرسون وقد وجد المؤتمر نفسه مسوقاً تحت وطأة الأحداث نحو مواقف عنيفة فبالرغم من أن أعضاءه طالبوا الملك بإعادة السلم إلا أنهم على كل حال اضطروا لتبني الجيش المحارب حول بوسطن واعتبروه جيشا أميركيا يخص كل المستعمرات لا واحدة منها . وقد عينوا لقيادته

جورج واشنطن وهو شاب من فرجينيا لمع اسمه في حرب السبع سنوات كما عرف بالشجاعة والاتزان والكفاية الإدارية .

ورغم تكوين الجيش الوطني واستمرار الحرب الفعلية فإن أكثرية الأميركيين ظلت معادية لفكرة الانفصال عن التاج البريطاني . وكان المعتدلون يجدون تفسيراً لتصرفاتهم المتناقضة بأنهم كانوا في حرب مع الوزارة البريطانية وليس مع الملك إلا أنهم مع الوقت أخذوا يجدون صعوبة في الاستمرار في وضعهم المتناقض خاصة وأن انكلترا لم تحاول أن تصل إلى اتفاق معهم كما أن الملك أصدر في ٢٣ (آب) سنة 1775 تصريحاً أعلن فيه أن المستعمرات هي بحالة عصيان. غير أن أبرز ما حدث خلال هذه الفترة هو أن الكونغرس كان يساق تدريجياً نحو القيام بوظائف الدولة فأصدر أوراقاً مالية ومنح المستعمرات سلطة تكوين حكومات محلية . كما أن قوات المستعمرات أخذت تنشط في عدة أماكن من البلاد وخاضت معركة ((بانكر هيل)) وهو موقع يشرف على مدينة بوسطن ومع أن الأمريكيين خسروا هذه الحركة إلا أنهم أنزلوا بالقوات الإنكليزية خسائر فادحة ما رفع معنويات القوى الوطنية لدرجة كبيرة . وبعد ذلك استكان الوطنيون للهدوء والسكينة ليعطوا جورج واشنطن الفرصة الكافية لإعادة تنظيم قواته . ولم يأت ربيع سنة 1776 . حتى كانت قوات واشنطن تهدد مدينة بوسطن وتطرد قوات الاحتلال منها .

: إعلان الاستقلال

عندما بدأ الأميركيون الحرب مارسوها كانكليز يعملون للدفاع عن حقوق تقليدية لهم تحاول حكومة لندن سلبهم إياها ، بل انه حينما تسلم جورج واشنطن قيادة الجيوش الأميركية كانت فكرة الاستقلال تبدو له (مريعة) كما كان يقول . إلا إن أحداثاً كبيرة جرت في البلاد بعد سنة 1775 أخذت تجعل زعماء البلاد يتهجون بها نحو الاستقلال بكثير من التردد والخوف . ذلك إن الفكرة الوطنية لم تكن قد شملت غير جزء من السكان وليس كل السكان الذين كانوا منقسمين حيال الموقف الواجب اتخاذه تجاه الانكليز .

وبصورة عامة نجد إن فئة الوطنيين كانت تضم على الأغلب أبناء الطبقات الدنيا والمثقفين بينما كانت فئة الموالين لبريطانيا تضم القسم الأكبر من الملاكين والأثرياء . وكانت هناك فئة ثالثة تضم حوالي ثلث السكان لم تأخذ موقفا محددا وإنما كانت تفضل الانتظار قبل أن تحدد موقفها .

إن الفئة الوطنية والمؤيدة للانفصال عن الوطن الأم كانت أقلية بين السكان إلا أنها كانت تمتاز بحيويتها ونشاطها وبوجود نخبة من الزعماء المخلصين وذوي الأفكار الواضحة في مقدمتها . وهذا ما ساعدها في أن تجر البلاد كلها إلى المصير الذي أرادته هي . لقد عمل هؤلاء الزعماء بعد مؤتمر الكونغرس الثاني بكثير من الحذر والحيطة على تهيئة الرأي العام لتقبل فكرة الانفصال وجعل الناس يفكرون في الاستقلال كمخرج وحيد لأزمتهم . وساعد هؤلاء في مهمتهم عوامل : كثيرة أبرزها

في 10 كانون الثاني سنة 1776 اصدر باين وهو تاجر انكليزي عرف بتأييده لفكرة الاستقلال كتابا اسمه (الإدراك)حاول أن يظهر فيه للأميركيين أن بإمكانهم أن يحكموا أنفسهم إذا استقلوا بأفضل مما تفعله حكومة لندن .وأن بإمكانهم إقامة حكومة متحررة من ظلم ملك أوروبي ومن استغلال بلد بعيد . كما اظهر لهم انه من العبث أن تحكم جزيرة صغيرة قارة كبيرة تبعد عنها آلاف الأميال . وقد لقي هذا الكتاب رواجا كبيرا فبيع منه حوالي مائة ألف نسخة وكان له تأثير كبير في . إقناع بعض المترددين في السير في طريق الاستقلال

بما أن الحرب الأميركية لم تكن تلاقي تأييدا من عامة الشعب الانكليزي فأن حكومة لندن أخذت تجد صعوبة كبيرة في جمع المتطوعين لإرسالهم إلى المستعمرات . مما جعل الملك جورج الثالث يلجأ إلى جنود مرتزقة من الألمان فأستأجر من أمير مقاطعة (هس) الألمانية حوالي عشرين ألف جندي أرسلهم لمحاربة الأميركيين . وقد أساء هذا التصرف إلى سمعة الملك لدرجة . كبيرة

تصلب حكومة لندن المتزايد تجاه المستعمرات ,ذلك أن آخر ملتمس للسلام أرسله الكونغرس إلى . ملك لندن مع رسول خاص لقي تجاهلا تاما .بل أن الملك رفض حتى مقابلة الرسول

هذه الأحداث مع ما سبقها من سوء تصرف السلطات الانكليزية أفقد أصدقاء الحكومة البريطانية وفئة المترددين كل مبرر لتمسكهم بولائهم للعرش الانكليزي واوجد في الأشهر الأولى من سنة . 1776 في المستعمرات استعدادا نفسيا لتقبل فكرة الانفصال بل والقتال دفاعا عنها

تقدم الزعيم (لي) من فرجينيا في يوليو سنة 1776 إلى الكونغرس باقتراح يدعوا المستعمرات لأن تكون دولا حرة ومستقلة . وقد لقي هذا الاقتراح تأييدا عاما فشكلت لجنة من خمسة زعماء من

بينهم : فرانكلين وجفرسون وآدامز مهمتها إعداد وثيقة الاستقلال . وفي 2 تموز أقرت الوثيقة التي أعدها جفرسون بعد إدخال تعديلات عديدة عليها من قبل الكونغرس ثم أعلنت بشكلها النهائي في 4 تموز لتزف للعالم خبر ولادة امة جديدة مستقلة في العالم الجديد .

وقد أبرزت هذه الوثيقة للعالم الأسباب التي دعت الأميركيين الانفصال عن العرش الانكليزي وحددت الخطوط الرئيسية للمعتقدات السياسية عند الأميركيين.

- إن البشر خلقوا متساوين ،وإنهم منحوا من قبل خالقهم حقوقا ثابتة من بينها : حق الحياة والحرية والبحث عن السعادة.
- إن الحكومات تنشأ للمحافظة على هذه الحقوق تستمد سلطتها العادلة من موافقة المحكومين .فعندما تسيء الدولة استعمال سلطتها يحق للشعب أن يبدلها أو يلغيها أو يستبدل بها حكومة أخرى تقوم على الأسس التي تبدو له أكثر موافقة لتأمين سلامته وسعادته.

وبصورة عامة فإن وثيقة إعلان الاستقلال حملت في طياتها بذور الفكر الديمقراطي وأكدت المبدأ الذي طالما نادى به أحرار أوربا وهو إن الدولة وجدت لخدمة الشعب وإنها تستمد منه سلطانها وإن مبرر وجود السلطة يزول متى انحازت هي عن مهمتها الأساسية وهي العمل لغير محكوميها. ولعل أفكار لوك وروسوا ومونتيسكيو تبدوا إلى حد كبير السند الأيديولوجي و الفلسفي لكثير من مبادئ وثيقة إعلان الاستقلال .

العلاقات الفرنسية الأميركية:

كانت فرنسا تراقب باهتمام تطور الأحداث في المستعمرات الأميركية إذ كان يسرها إلى حد كبير أن ترى عدوتها القديمة إنكلترا تواجه الحروب والمصاعب في العالم الجديد كما إنها كانت تنتظر الفرصة الملائمة لتحاول أن تثأر لهزيمتها في حرب السبع سنوات وأن تتخلص من بعض شروط معاهدة باريس القاسية .ولذا فإن وزارة الخارجية الفرنسية كانت على اتصال سري مستمر ببعض رجال الثورة الأميركية مقدمة لهم النصح أحيانا والمساعدة أحيانا أخرى وكثيرا ما أرسلت لهم في غفلة عن أعين الأسطول البريطاني شحنات من الأسلحة والذخيرة كما إنها استقبلت عددا من زعماء الكونغرس ورسله بصورة غير رسمية في باريس .هذا بالنسبة للدولة الفرنسية وأما بالنسبة للفرنسيين فكان حماس الأحرار منهم لها عظيمة إذ رأوا في انتصارها انتصارا لمثلهم ومبادئهم في

الحرية والعدالة والمساواة. ومنذ أن بدأت الاصطدامات في بوسطن أبحر كثير من المتطوعين الفرنسيين إلى العالم الجديد ليقدموا لثواره خدماتهم الحربية . وكان على رأس هؤلاء المركيز لافايت وهو ضابط شاب في الجيش الفرنسي وقد التحق بجيش جورج واشنطن برتبة جنرال وخدم القضية الأميركية بإخلاص وتفان دون أجر مما جعله يتبوأ مكانة كبيرة عند الأميركيين .وقد وفد على البلاد الأميركية الأحرار من بلدان أوربية أخرى نذكر منهم الجنرال الألماني الأصل والجنرال الروسي البارون فون شتوبن والنبيلين البولونيين بولاسكي وكوشيوزكو. وكانت لهؤلاء خبرات كبيرة في الشؤون العسكرية أفاد منها الأميركيون كثيرا .

إلا إن المساعدة الفرنسية حتى سنة 1777 بقيت محدودة وغير علنية ذلك إن حكومة باريس لم تشأ أن تتخذ موقف العداء الصريح من إنكلترا قبل التأكد من استمرار الأميركيين في ثورتهم ومن قدرتهم على الصمود . غير إنها بعد انتصار الأميركيين في معركة ساراتوغا سنة 1777 وصمودهم القوي أمام القوات البريطانية المتفوقة في العدد والكفاية اتخذت موقف التأييد الصريح للثورة واستقبل بنامين فرانكلين عضو الكونغرس الأميركي بصورة رسمية في البلاط الفرنسي . وفي 6 شباط سنة 1778 اعترفت فرنسا رسميا باستقلال الولايات المتحدة وعقدت معها تحالفا تعهدت فيه الدولتان بمتابعة الحرب حتى تصير الدولة الأخرى مستعدة لتوقيع الصلح . وهكذا دخلت فرنسا الحرب بصوره علنية ضد انكلترا . وبدأت الإمدادات الفرنسية تصل بصورة متتابعة للأميركيين كما أن الحكومة الفرنسية أمدت الكونغرس بقرض مالي كبير تبعته قروض أخرى وأبحر الأسطول الفرنسي إلى الولايات المتحدة حاملا معه ستة آلاف جندي بقيادة المركيز روشامبو ثم أن الفرنسيين أعطوا بعض المغامرين الأميركيين سفنا قاموا فيها بأعمال جريئة في القتال الانكليزي عرقلت مواصلات الإمبراطورية . كما أن الاسبان والهولنديين لم يلبثوا أن أعلنوا تأييدهم لقضية الثوار في أميركا وأمدوهم بمساعدات هامة .

: إعلان الاستقلال

عندما بدأ الأميركيون الحرب مارسوها كانكليز يعملون للدفاع عن حقوق تقليدية لهم تحاول حكومة لندن سلبهم إياها ، بل انه حينما تسلم جورج واشنطن قيادة الجيوش الأميركية كانت فكرة الاستقلال تبدو له (مريعة) كما كان يقول . إلا إن أحداثاً كبيرة جرت في البلاد بعد سنة 1775 أخذت تجعل زعماء البلاد يتهجون بها نحو الاستقلال بكثير من التردد والخوف . ذلك إن الفكرة الوطنية لم تكن قد شملت غير جزء من السكان وليس كل السكان الذين كانوا منقسمين حيال الموقف الواجب اتخاذه تجاه الانكليز وبصورة عامة نجد إن فئة الوطنيين كانت تضم على الأغلب أبناء الطبقات الدنيا والمثقفين بينما كانت فئة الموالين لبريطانيا تضم القسم الأكبر من الملاكين والأثرياء . وكانت هناك فئة ثالثة تضم حوالي ثلث السكان لم تأخذ موقفا محددا وإنما كانت تفضل . الانتظار قبل أن تحدد موقفها

إن الفئة الوطنية والمؤيدة للانفصال عن الوطن الأم كانت أقلية بين السكان إلا أنها كانت تمتاز بحيويتها ونشاطها وبوجود نخبة من الزعماء المخلصين وذوي الأفكار الواضحة في مقدمتها . وهذا ما ساعدها في أن تجر البلاد كلها إلى المصير الذي أرادته هي . لقد عمل هؤلاء الزعماء بعد مؤتمر الكونغرس الثاني بكثير من الحذر والحيطة على تهيئة الرأي العام لتقبل فكرة الانفصال وجعل الناس يفكرون في الاستقلال كمخرج وحيد لأزمتهم . وساعد هؤلاء في مهمتهم عوامل : كثيرة أبرزها

في 10 كانون الثاني سنة 1776 اصدر باين وهو تاجر انكليزي عرف بتأييده لفكرة الاستقلال كتابا اسمه (الإدراك)حاول أن يظهر فيه للأميركيين أن بإمكانهم أن يحكموا أنفسهم إذا استقلوا بأفضل مما تفعله حكومة لندن .وأن بإمكانهم إقامة حكومة متحررة من ظلم ملك أوروبي ومن استغلال بلد بعيد . كما اظهر لهم انه من العبث أن تحكم جزيرة صغيرة قارة كبيرة تبعد عنها آلاف الأميال . وقد لقي هذا الكتاب رواجا كبيرا فبيع منه حوالي مائة ألف نسخة وكان له تأثير كبير في . إقناع بعض المترددين في السير في طريق الاستقلال

بما أن الحرب الأميركية لم تكن تلاقي تأييدا من عامة الشعب الانكليزي فأن حكومة لندن أخذت تجد صعوبة كبيرة في جمع المتطوعين لإرسالهم إلى المستعمرات . مما جعل الملك جورج الثالث

يلجأ إلى جنود مرتزقة من الألمان فأستأجر من أمير مقاطعة (هس) الألمانية حوالي عشرين ألف جندي أرسلهم لمحاربة الأميركيين . وقد أساء هذا التصرف إلى سمعة الملك لدرجة كبيرة تصلب حكومة لندن المتزايد تجاه المستعمرات ,ذلك أن آخر ملتمس للسلام أرسله الكونغرس إلى ملك لندن مع رسول خاص لقي تجاهلا تاما .بل أن الملك رفض حتى مقابلة الرسول . هذه الأحداث مع ما سبقها من سوء تصرف السلطات الانكليزية أفقد أصدقاء الحكومة البريطانية وفئة المترددين كل مبرر لتمسكهم بولائهم للعرش الانكليزي واوجد في الأشهر الأولى من سنة 1776 في المستعمرات استعدادا نفسيا لتقبل فكرة الانفصال بل والقتال دفاعا عنها . تقدم الزعيم (لي) من فرجينيا في يوليو سنة 1776 إلى الكونغرس باقتراح يدعوا المستعمرات لأن تكون دولا حرة ومستقلة . وقد لقي هذا الاقتراح تأييدا عاما فشكلت لجنة من خمسة زعماء من بينهم : فرانكلين وجفرسون وآدامز مهمتها إعداد وثيقة الاستقلال . وفي 2 تموز أقرت الوثيقة التي أعدها جفرسون بعد إدخال تعديلات عديدة عليها من قبل الكونغرس ثم أعلنت بشكلها النهائي في 4 تموز لتزف للعالم خبر ولادة امة جديدة مستقلة في العالم الجديد .

وقد أبرزت هذه الوثيقة للعالم الأسباب التي دعت الأميركيين الانفصال عن العرش الانكليزي .وحددت الخطوط الرئيسية للمعتقدات السياسية عند الأميركيين

1-إن البشر خلقوا متساوين ،وإنهم منحوا من قبل خالقهم حقوقا ثابتة من بينها : حق .الحياة والحرية والبحث عن السعادة

2-إن الحكومات تنشأ للمحافظة على هذه الحقوق تستمد سلطتها العادلة من موافقة المحكومين .فعندما تسيء الدولة استعمال سلطتها يحق للشعب أن يبدلها أو يلغيها أو يستبدل بها حكومة .أخرى تقوم على الأسس التي تبدو له أكثر موافقة لتأمين سلامته وسعادته

وبصورة عامة فإن وثيقة إعلان الاستقلال حملت في طياتها بذور الفكر الديمقراطي وأكدت المبدأ الذي طالما نادى به أحرار أوربا وهو إن الدولة وجدت لخدمة الشعب وإنها تستمد منه سلطانها .وإن مبرر وجود السلطة يزول متى انحازت هي عن مهمتها الأساسية وهي العمل لغير محكوميها .ولعل أفكار لوك وروسوا ومونتيسكيو تبدوا إلى حد كبير السند الأيديولوجي و الفلسفي لكثير من . مبادئ وثيقة إعلان الاستقلال

العلاقات الفرنسية الأميركية:

كانت فرنسا تراقب باهتمام تطور الأحداث في المستعمرات الأميركية إذ كان يسرها إلى حد كبير أن ترى عدوتها القديمة إنكلترا تواجه الحروب والمصاعب في العالم الجديد كما إنها كانت تنتظر الفرصة الملائمة لتحاول أن تثأر لهزيمتها في حرب السبع سنوات وأن تتخلص من بعض شروط معاهدة باريس القاسية .ولذا فإن وزارة الخارجية الفرنسية كانت على اتصال سري مستمر ببعض رجال الثورة الأميركية مقدمة لهم النصح أحيانا والمساعدة أحيانا أخرى وكثيرا ما أرسلت لهم في غفلة عن أعين الأسطول البريطاني شحنات من الأسلحة والذخيرة كما إنها استقبلت عددا من زعماء الكونغرس ورسله بصورة غير رسمية في باريس .هذا بالنسبة للدولة الفرنسية وأما بالنسبة للفرنسيين فكان حماس الأحرار منهم لها عظيمة إذ رأوا في انتصارها انتصارا لمثلهم ومبادئهم في الحرية والعدالة والمساواة. ومنذ أن بدأت الاصطدامات في بوسطن أبحر كثير من المتطوعين الفرنسيين إلى العالم الجديد ليقدموا لثواره خدماتهم الحربية . وكان على رأس هؤلاء المركيز لافايت وهو ضابط شاب في الجيش الفرنسي وقد التحق بجيش جورج واشنطن برتبة جنرال وخدم القضية الأميركية بإخلاص وتفان دون أجر مما جعله يتبوأ مكانة كبيرة عند الأميركيين .وقد وفد على البلاد الأميركية الأحرار من بلدان أوربية أخرى نذكر منهم الجنرال الألماني الأصل والجنرال الروسي البارون فون شتوبن والنبيلين البولونيين بولاسكي وكوشيوزكو. وكانت لهؤلاء خبرات كبيرة في الشؤون العسكرية أفاد منها الأميركيون كثيرا .

إلا إن المساعدة الفرنسية حتى سنة 1777 بقيت محدودة وغير علنية ذلك إن حكومة باريس لم تشأ أن تتخذ موقف العداء الصريح من إنكلترا قبل التأكد من استمرار الأميركيين في ثورتهم ومن قدرتهم على الصمود . غير إنها بعد انتصار الأميركيين في معركة ساراتوغا سنة 1777 وصمودهم القوي أمام القوات البريطانية المتفوقة في العدد والكفاية اتخذت موقف التأييد الصريح للثورة واستقبل بنامين فرانكلين عضو الكونغرس الأميركي بصورة رسمية في البلاط الفرنسي .

وفي 6 شباط سنة 1778 اعترفت فرنسا رسميا باستقلال الولايات المتحدة وعقدت معها تحالفا تعهدت فيه الدولتان بمتابعة الحرب حتى تصير الدولة الأخرى مستعدة لتوقيع الصلح . وهكذا دخلت فرنسا الحرب بصوره علنية ضد انكلترا . وبدأت الإمدادات الفرنسية تصل بصورة متتابعة

للأميركيين كما أن الحكومة الفرنسية أمدت الكونغرس بقرض مالي كبير تبعته قروض أخرى وأبحر الأسطول الفرنسي إلى الولايات المتحدة حاملا معه ستة آلاف جندي بقيادة المركيز روشامبو ثم أن الفرنسيين أعطوا بعض المغامرين الأميركيين سفنا قاموا فيها بأعمال جريئة في القتال الانكليزي عرقلت مواصلات الإمبراطورية . كما أن الاسبان والهولنديين لم يلبثوا أن أعلنوا تأييدهم . لقضية الثوار في أميركا وأمدوهم بمساعدات هامة

: الحرب الانكليزية الأميركية

في بداية الحرب كانت تبدوا كفة الانكليز هي الراجحة ذلك أن أسطولهم القوي فرض حصارا قويا على شواطئ المستعمرات شل اقتصادها وجعل الاتصال فيما بينها وبين أوروبا صعبا للغاية . ثم أن قواتهم كانت أكثر عددا وخبرة وكفاية يضاف إلى ذلك إنها كانت تعتمد على الموارد الاقتصادية لدولة كبرى . ولم يكن يضعف موقف الجيش الانكليزي إلا انقسام الرأي العام في بريطانيا حول هذه الحرب، أما الأميركيون فقد انطلقوا منذ البداية من الناحية العسكرية من موقف ضعيف : للغاية وذلك للأسباب التالية

1-أن فئة من الأميركيون بقيت موالية لانكلترا فأمدتها بحوالي 30 ألف جندي وتعاونت معها وقدمت لها المعلومات . كما أن الهنود كانوا على الأغلب وخاصة في الشمال يوالون . الانكليز ويساعدونهم

2-أن القوات الأميركية كانت سيئة التنظيم وعديمة الخبرة وكان ينقص جنودها روح . الانضباط العسكري

3-عجز الحكومة الأميركية عن مواجهة نفقات الحرب باعتبار انه لم يكن للكونغرس حق فرض الضرائب مما اضطره إلى إصدار سندات مالية لم تلبث أن تدهورت أسعارها مما أدى إلى . إفلاس مؤسسات وأفراد كثيرين

4-عدم ثقة المستعمرات ببعضها البعض وعدم استعداد أي منها للتنازل ولو عن جزء من . سيادتها للكونغرس ليتمكن من الانتصار في الحرب

ألا أن القوات الأميركية كانت تعوض عن ذلك بعض الشيء بقيادتها الحكيمة المخلصة التي يتولاها جورج واشنطن وبأتساع رقعة أراضيها ووفرة إمكانياتها مما كان يعرقل عمل القوات النظامية الانكليزية .

: مراحل الحرب

عقب إعلان الاستقلال حاول واشنطن طرد الجنرال (هاو) وجنوده من بوسطن إلا انه فشل في المعركة التي جرت بين الجيشين في نيويورك من اجل السيطرة على هذه المدينة . وقد هزم الأميركيون بفضل تعاون الجيش الانكليزي وجيش هس (الألماني) وما تلقاه الجيشان من مساعدات وإمدادات مما اضطر واشنطن للتراجع نحو الجنوب عبر نيوجرسي , حتى وصل إلى بنسلفانيا واخذ يعمل على إعادة تنظيم قواته ثم عاد ليلة عيد الميلاد عام 1776 وباغت الجنود الألمان المأجورين في ترتنون وهزمهم ثم اتبع نصره هذا بانتصار آخر في برنستون واسترجع ولاية نيوجرسي .

وفي عام 1777 قام الجنرال الانكليزي (هاو) بهجوم بحري على العاصمة فيلادلفيا واحتلها طاردا منها جيوش واشنطن ألا انه بينما كان واشنطن يتلقى هذه الضربة ويعاني مع جنوده من برد الشتاء القارص كانت تجري معركة ساراتوغا شمال نيويورك حيث خسر الانكليز جيشا كاملا من ستة آلاف جندي استسلم مع قائده (بورغين) في تشرين الأول سنة 1777 لمحاصريه ويبلغ عددهم حوالي عشرين آلفاً من المزارعين الأميركيين ومن جنود المستعمرات .

وتعد معركة ساراتوغا المعركة الفاصلة في حرب الاستقلال الأميركية ذلك أن خسارة انكلترا شجعت فرنسا واسبانيا على دخول الحرب إلى جانب خصومها كما أنها أعطت الأميركيين المبادرة في السيطرة على المناطق الشمالية . ثم أن الحرب بصورة عامة بعد هذه المعركة أخذت تتحول نتائجها لصالح الوطنيين تدريجيا .

أن دخول فرنسا الحرب بأسطولها القوي زاد في متاعب الانكليز وعرقل عملية تموين الجنود الذين يقاتلون في القارة الجديدة. كما أن امتداد اجل الحرب عرقل التجارة الانكليزية . ومع هذا فأن الانكليز تابعوا حربهم بإصرار وعناد غير إنهم اضطروا في سنة 1778 إلى إخلاء العاصمة

فيلادلفيا بسبب محاصرة الأسطول الفرنسي وتهديده للمدينة . وفي نفس السنة حلت بالانكليز سلسلة من الهزائم في وادي الاوهايو كرست سلطة الأميركيين على القسم الشمالي الغربي من البلاد . إلا إنهم تابعوا الحرب في الجنوب واحتلوا مرفأ شارلستون _وهو اكبر ميناء في الجنوب في سنة 1780 واستولوا على مقاطعة كارولينا (الجنوبية) . _

وفي سنة 1781 حاول الانكليز التراجع إلى فرجينيا بعد إن أرغموا على إخلاء كارولينا وهناك عند مدينة يوركتاون وعلى بعد أميال من جيمستاون حدثت المعركة الأخيرة في حرب الاستقلال الأميركي . إذ تعاونت القوات الفرنسية والأميركية يدعمها أسطول فرنسي قوي من جهة البحر على محاصرة جيوش الجنرال الانكليزي كورنواليس . وأمام قوة الجيوش المحاصرة والتي كان يقودها جورج واشنطن ولافايت قام الجنرال الانكليزي بعمليات جريئة للخلاص من الحصار إلا انه فشل عند ذلك بادر إلى الاستسلام في 19 تشرين الأول سنه 1781 . وقد أعطى الانتصار في هذه المعركة للأميركيين السيطرة على أكثر المناطق الجنوبية . وقد أدرك رئيس وزراء بريطانيا اللورد نورث النتائج الحقيقية لمعركة يوركتاون ولذا فقد صاح حين بلغته أخبارها قائلا "يا الهي . " لقد انتهى كل شيء

وبالرغم من أن الشعب البريطاني كان قد مل هذه الحرب الطويلة والمضنية إلا أن الملك جورج الثالث أصر على متابعتها غير أن الهزائم التي مني بها الانكليز في السنة التالية إذ طردوا من كل المرافئ الأميركية ما عدا نيويورك أقنعته بضرورة الجنوح إلى السلم . وفي آذار سنة 1782 استقال رئيس الوزراء البريطاني اللورد نورث مفسحاً المجال أمام اللورد روكنغهام ليبدأ مع الأميركيين مفاوضات السلام .

معاهدة باريس سنة 1783 :

بدأت سلسلة من المفاوضات السرية بين الأميركيين وحكومة لندن في سنة 1782. وبالطبع لم يكن بالإمكان بدأ مفاوضات رسمية باعتبار أن شروط التحالف بين فرنسا وأميركا الموقع سنة 1778 تنص على أن لا تعقد أي من الدولتين الصلح إلا متى أصبحت الأخرى مستعدة لذلك . وفي سنة 1782 كان الفرنسيون لا يزالون يتابعون القتال في محاولة لاستعادة جزء مما فقدوه عقب حرب السبع سنوات في أميركا .

لقد اظهر الانكليز أثناء المفاوضات كرما لا حد له تجاه خصومها ووافقوا على إنشاء دولة أميركية تمتد حدودها من البحيرات الكبرى إلى فلوريدا ومن المحيط الأطلسي إلى نهر الميسيسبي . كما وافقوا على منح الدولة الجديدة حق الصيد في سواحل كندا والملاحة في نهر الميسيسبي .

وفي مقابل ذلك تعهد الأميركيون بحماية مواطنيهم الذين ظلوا حتى النهاية موالين للعرش البريطاني إذ أن الكثيرين منهم أصابهم الأذى في أرواحهم وأراضيهم ومؤسساتهم . وفي سنة 1783 وبعد أن يأس الفرنسيون من تحقيق انتصار كبير على الانكليز وبعد أن أدرك الاسبان استحالة استعادة جبل طارق وافق جميع الفرقاء على عقد مؤتمر لجميع الأطراف المتنازعة في مدينة باريس . وقد تبنى الجميع في هذا المؤتمر الشروط التي توصل إليها الانكليز والأميركيون في مفاوضاتهم الثنائية سنة 1782 كما أضيف إليها شرط جديد يعطي اسبانيا مستعمرة فلوريدا . وفي 3 أيلول سنة 1783 وقع الجميع على المعاهدة النهائية .

وبانتهاء حرب الاستقلال وزوال السيطرة الأجنبية بات الأميركيون أحرارا في أن يقيموا مجتمعا جديدا وفق الأفكار السياسية التي امنوا بها وحسب ما تفرضه البيئة والأرض والظروف المحيطة بهم . وقد استهل هؤلاء أعمال البناء بمحاولة إعطاء دولتهم الجديدة دستورا يكفل للإدارة الحكومية انتظام العمل وللمواطنين الحقوق والحريات التي قاتلوا للحصول عليها .

الولايات المتحدة الأميركية ودستور سنة 1789

أن المؤتمر القاري الأميركي الأول _الكونغرس _ الذي عقد في سنة 1774 كان يضم مندوبي مستعمرات في حالة حرب مع بريطانيا . وكانت كل واحدة منها تنظر إلى نفسها كوحدة مستقلة وتنضر بكثير من الحذر إلى كل فكرة اتحادية . فقد عمل هذا المؤتمر حتى سنة 1781 بشكل هيئة عليا تتولى إدارة الحرب وتنسيق التعاون بين الدول دون أن يكون لها صفة تمثيل للشعب الأميركي . إلا أن بعض أعضائه ممن عرفوا ببعد النظر والحكمة والوطنية الصادقة عملوا بثبات على تحويل الكونغرس الأول إلى مؤسسة دائمة تعمل على توثيق التعاون بين الدول الأميركية زمن السلم . وقد تولى ديكنسون يساعده عدد من أعضاء المؤتمر صياغة نظام جديد للحكم يعطي الدولة حكومة مركزية ذات سلطات محددة ويبقيها على استقلالها . وفي سنة 1777 أصبح هذا النظام جاهزا وعرض على الكونغرس إلا انه لم يوضع موضع التنفيذ بسبب معارضة

ولاية ماريلاند له ما لم توافق جميع الولايات على اعتبار أراضي الغرب كلها ممتلكات عامة يقسمها الكونغرس إلى حكومات حرة مستقلة . وأمام إصرار ماريلاند على طلبها ورفضها الموافقة على نضام الحكم المقترح قبلت جميع الدول التنازل عما لها من حقوق ومصالح في الغرب وجعلت الأراضي الواقعة بين جبال الابلاش ونهر الميسيسبي بمثابة ممتلك وطني تشرف عليه الحكومة المركزية . وقد أدى موقف ماريلاند المشدد هذا إلى تقوية السلطة المركزية في بدأ تكوينها والى خلق رباط دائم من المصالح يشد الدول إلى بعضها البعض ويشدها كلها إلى . الكونغرس المركزي

: الإتحاد الأميركي في سنة 1781

وبعد موافقة جميع الدول تبني الكونغرس نضام الحكم الجديد المقترح كما وافق على دستوره المعروف باسم شروط الاتحاد التعاهدي والذي يقضي بضم الدول الأميركية في اتحاد يعرف باسم (الدول الأميركية المتحدة) . وبذلك تحول الكونغرس الأميركي الذي اجتمع في البداية بصفة مؤتمر للدول الأميركية إلى نوع من الحكومة المركزية للدول الأميركية المتحدة . ولما كان لا بد من إيجاد هيئة تنفيذية عليا فقد تولى كونغرس الدول الأميركية نفسه هذه المهمة وكان يضم مندوبي الدول الثلاث عشرة بنسبة اثنين على الأقل وسبعه على الأكثر لكل دولة حسب مساحتها . , وعدد سكانها وكان المندوبون يناولون مرتباتهم من حكوماتهم

وأثناء انعقاد الكونغرس كان يتولى أمر الاتحاد (لجنة الدول) المؤلفة من مندوب واحد عن كل دولة وكانت تنحصر أعمالها بالمهمات والصلاحيات التي يعطيها إياها الكونغرس . وبما أن هذا الاتحاد كان يضم دولا مستقلة ذات سيادة لكل منها مجلسها وحاكمها ودستورها فقد كان لكل منها صوت واحد في الكونغرس وكان لابد من إجماع الثلاث عشرة مندوب لاتخاذ القرارات الهامة . أما في الشؤون العادية فكان يكفي تسعة أصوات . وكانت صلاحيات الكونغرس تنحصر في حق إعلان الحرب والسلم وعقد المحالفات وإرسال واستقبال السفراء ومعالجة الأمور الخارجية والداخلية . كما كان له الحق لاستقراض وصرف وتأليف الجيوش وإنشاء وحدات الأسطول البحري وتسمية القائد الأعلى للأسطول وقبول مستعمرات جديدة في الاتحاد .ومن تعداد هذه الصلاحيات

يتضح إن مهمة التحالف الأساسية كانت صيانة سلامة الدول وتنظيم العلاقات بين التحالف والدول الأجنبية أي إنها لا تتناول سوى قضايا الدفاع والعلاقات الخارجية.

ولم يكن للتحالف أية صلة للمواطنين. ذلك أنه كان يمارس سلطاته تحت سلطة الدول وبناء على قراراتها وليس مستقلا عنها فلم يكن له الحق بجباية الضرائب لتأمين مصروفاته بل إن الدول كانت تقدم له الأموال على سبيل الاشتراك بنفقاته ولمساعدته في القيام بوظائفه المقررة .أما مقرراته سواء أكانت متخذة بالإجماع أو بالأغلبية فإن أمر تنفيذها كان منوطا بالدول فقط فكل دولة على حدة وضمن حدودها تتولى تنفيذ مقررات الاتحاد دون أن تكون بيد الكونغرس الوسيلة لإرغامها على التنفيذ.

وبصورة عامة لم يؤد هذا التحالف إلى قيام دولة اتحادية منظمة وكل ما في الأمر إن الدول اتفقت فيما بينها على تنظيم مؤتمر دائم ـ كونغرس ـ فيما بينها يتولى تنظيم أمور محددة تتولى هي تنفيذها باعتبارها الصلة بينه وبين الشعب الأميركي . وقد أبرزت السنوات القليلة التي تلت وضع هذا التحالف موضع التنفيذ ضعف موارده واضطرابها كما أظهرت عدم تلبيتهم لحاجات البلاد وعدم قدرته على حل مشاكلها ومعضلاتها . خاصة وإن العمل بموارد الإتحاد أوصلت البلاد إلى كارثة اقتصادية بسبب بقاء السيطرة على التجارة والتشريعات الجمركية بأيدي الدول.

لقد سنت المجالس التشريعية في بعض الولايات تشريعات جمركية أضرت جاراتها كما إن القيود المفروضة على التجارة بين الولايات كانت تخلق شعورا بالعداء بين السكان وظهرت في البلاد أنواع كثيرة من النقود تولت توزيعها الدول كما إن كثرة العملات الورقية والاختلاف بينها أدى إلى هبوط سريع في قيمتها .

وإلى جانب اضطراب الوضع الاقتصادي والمالي فأن عجز الكونغرس قد أدى إلى ظهور نزاعات كثيرة على الحدود .كما إن المحاكم في الدول كثيرا ما كانت تصدر أحكاما متناقضة وذلك بسبب عدم وجود سلطة قضائية عليا في البلاد .إذ أن الأمور القضائية كانت خارجة عن سلطات الكونغرس ومن اختصاص الدول .

وقد أدت هذه الأوضاع المتردية إلى انتشار التذمر بين الفلاحين الذين أخذوا منذ سنة 1786 يطالبون بإصلاح الأنظمة الإدارية . وقد نظمت من أجل ذلك مؤتمرات شعبية كثيرة . وفي خريف

سنة 1786 قام الفلاحون في ولاية ماساشوسيتس بإضراب مسلح مما اضطر حكومة الولاية لاستعمال العنف لتفريقهم .

وكان الجميع يدركون تدهور سلطة الكونغرس خاصة وإن بعض الدول كانت قد أخذت تتجاهل وجوده تماما فتتفاوض مع دول أجنبية وتقيم علاقات دبلوماسية خاصة بها وتنشأ جيوشا وأساطيل بصورة منفردة.

ولم تكن أوساط الرأسمالية الناشئة وذات النفوذ القوي راضية عن تدهور الأوضاع السريع خاصة في المجال الاقتصادي. ذلك إن هذه الفئات كانت ترى في الحدود القائمة بين الدول الأميركية وما وضعته مجالس هذه الدول من قيود على حرية التجارة وما فرضته من رسوم جمركية مرتفعة في أكثر الأحيان حاجزا أمام تطور التجارة الأميركية ونمو الصناعة . ثم إن هذه القيود حدت من إمكانية الاستفادة من الأفاق الواسعة في الغرب.

لذا أخذت الفئات الرأسمالية تحارب سياسة العزلة والانكماش التي تبناها أكثر رجال السياسة الأميركيين حفاظا على نفوذهم وتعمل على توجيه المواطنين نحو المطالبة بحكومة مركزية أقوى وأشد فعالية . وليس أقل على الدور الذي لعبته هذه الفئات في دفع البلاد نحو اتحاد أقوى وأوثق من إن أغلبية المندوبين الذين حضروا مؤتمر فيلادلفيا الذي وضعت فيه نصوص الميثاق الفيدرالي كانوا من فئة التجار وصانعي السفن وكبار المزارعين ومالكي العبيد .

مؤتمر فيلادلفيا سنة 1787:

وفي سنة 1786 عقد في مدينة انابوليس مؤتمر اشتركت فيه خمس دول أميركية للنظر في نزاع على الملاحة في نهر البوتوماك قام بين فرجينيا وماريلاند .ولم يعرض هذا النزاع بالطبع على الكونغرس لأنه كان قد وصل إلى مرحلة من الضعف لم يعد معها قادرا على القيام بأي دور إيجابي في حياة البلاد الأميركية .

وفي الاجتماع الأول تمكن الزعيم الكسندر هاملتون من تحويل المؤتمر عن هدفه الأساسي وطرح قضية البلاد كلها .لقد صارح المجتمعين بأن الموقف في البلاد الأميركية بات خطرا بحيث أنه لا يمكن معالجته على يد مؤتمر صغير واقنع المجتمعين بأن يطلبوا من جميع الدول تعيين ممثلين

عنها (لوضع النصوص الضرورية التي تجعل دستور الحكومة الاتحادية مناسبا لحاجات هذا الاتحاد).

وفي 25أيار سنة 1787 التقى في دار الحكومة في فيلادلفيا خمسة وخمسون مندوبا يمثلون اثنتي عشرة ولاية . امتنعت عن الاشتراك رودايلاند . وكان أكثر هؤلاء المندوبين من ذوي الخبرة في الشؤون العسكرية والقانونية وممن عملوا في حكومات المستعمرات . وقد اختار الجميع جورج واشنطن نظرا لنزاهته وسمعته الحسنة أثناء حرب الاستقلال رئيسا للمؤتمر .

منذ البداية تمكن زعماء أفذاذ من أمثال ماديسون وهاملتون وموريس من السيطرة على الأكثرية وتوجي المؤتمر نحو تحقيق نظام حكومي جديد متجاهلين إن هدف المؤتمر الأساسي كان (مراجعه بنود الاتحاد) . ولذا فقد اقروا إلغاء شروط الاتحاد الكونفدرالي واخذوا يعملون لوضع دستور جديد بالبلاد يناسب كل فئات المجتمع الأمريكي على اختلاف سلالاتهم وجنسياتهم الأصلية ومصالحهم الاقتصادية .

إعداد الدستور :

وفي أثناء جلسات عمل المؤتمر التي كانت سرية واجه المؤتمرون صعوبات كثيرة في التوفيق بين مصالح الولايات المختلفة المتضاربة وخاصة في التوفيق بين حرص بعض الولايات على استقلالها والرغبة العامة في تقوية السلطة المركزية الاتحادية . وقد عرض على المؤتمر مشروعين لدستور أميركي يختلفان اختلافا جذريا وهما :

1. مشروع فرجينيا وقدمه ماديسون المعروف بأب الدستور الجديد . ويمثل هذا المشروع مصالح الولايات الكبرى لقد اقترح ماديسون شكلا حقيقيا لحكومة وطنية يتولى السلطة التشريعية فيها مجلسان : المجلس الأعلى وتتمثل فيه الولايات بما يتناسب مع حجمها وثروتها وينتخب الشعب الأميركي المجلس الأخر . ويهدف مشروع فرجينيا في الأساس إلى الإقلال من سلطة مجالس الولايات وجعل المواطنين يمثلون في الكونغرس ويحكمون من قبله أيضا وفي هذا تجاوز لسلطات الدول .

2. مشروع نيوجرسي وكان أكثر حذرا إذ انه كان يمثل مصالح الولايات الصغيرة المتخوفة من طغيان الولايات الكبيرة وسيطرتها على الكونغرس فيما أذا اقر مشروع فرجينيا . قلد طالب مندوب

نيوجرسي بمجلس واحد تتساوى فيه الولايات في التمثيل كما كان الوضع في شروط الاتحاد .
. على أن يمنح الكونغرس السلطة لفرض الضرائب وتنظيم التجارة

وعلى الرغم من تعارض المشروعين وتباعدهما فأن المجتمعين تمكنوا بعد اجتماعات طويلة وسلسلة من التنازلات والحلول الوسطى من إيجاد أساس لاتفاق يقضي بأن يتألف الكونغرس الجديد من مجلسين كما أرادت الولايات الكبرى على أن تمثل في المجلس الأعلى كل ولاية بعضوين مهما بلغ تعداد سكانها ومساحة أراضيها . أما في المجلس الأخر فالشعب ينتخب نوابه . مباشرة وترسل كل ولاية عددا من النواب يتناسب مع عدد سكانها

وقد واجهت المؤتمر عقبة أخرى لم يكن من السهل التغلب عليها ذلك أن مندوبي الولايات الجنوبية طالبوا بأن يأخذ بعين الاعتبار عند تحديد نواب كل ولاية في مجلس الممثلين ما فيها من العبيد الأرقاء بالرغم من أن هذه الولايات لم تكن تعطيهم حق الاقتراع وذلك لزيادة ممثليها . وبعد نقاش طويل وتسويات عديدة اتفق المؤتمرون على أن يحسبوا ثلاثة أخماس المواطنين العبيد . ضمن عدد سكان الولاية وبذلك يزداد عدد ممثليها في المجلس

ثم جرى بحث قضية تحديد صلاحيات كل من الحكومة الفدرالية وحكومات الدول وقد وافق المؤتمرون على إعطاء السلطات الفدرالية الصلاحيات الكبرى العائدة للمصالح المشتركة بين الدول الأعضاء كالضرائب التي عينها والنظام والأمن العام في الأراضي الأميركية والدفاع والشؤون . الخارجية والاقتصاد العام والجمارك والنقد والتجارة الدولية

فالسلطات الحكومية الفدرالية إذن محددة في المجالات المذكورة أعلاه بينما بقيه سلطات الدول ضمن أراضيها عامة بمعنى أن لها الحق والحرية في ممارسة كل الصلاحيات والشؤون التي لا ينص الدستور على جعلها من حق الحكومة الفدرالية وكل واحدة من الدول الأميركية حرة في اختيار حكوماتها ومجالسها وقوانينها وهي لا تخضع بشكل من الأشكال لسلطان الحكومة المركزية . ورقابتها

. وقد تم الاتفاق أيضا على جعل الدستور الأميركي المقترح قابلا للتعديل ضمن شروط محدودة

: إقرار دستور سنة 1789

في أيلول سنة 1787 أي بعد عمل شاق ومضن طيلة صيف ذلك العام أمكن تذليل جميع العقبات وتوصل المؤتمرون إلى صيغة دستور جديد للبلاد الأميركية يقيم حكومة فدرالية قوية دون أن يقضي على كيانات الدول واستقلالها وفي اليوم السابع عشر من الشهر المذكور وقع جميع المندوبين وثيقة الدستور الجديد الذي يعود الفضل الأكبر في وضع نصوصه إلى ماديسون الذي يعرف في التاريخ الأميركي بأبي الدستور ، وبقي على هؤلاء المندوبين أن يعملوا على جعل دولهم تقر هذا الدستور في أقرب فرصة ممكنة إذ لم يكن بالإمكان وضعه موضع التنفيذ إلا إذا أقرته تسع دول على الأقل .

وكان على كل ولاية أن تعقد مؤتمرا خاصا لإقرار الدستور الجديد بدلا من المجالس التشريعية التي كانت في أكثرها معادية لنصوصه .وكانت أولى الدول التي أقرته هي بنسلفانيا حيث تمكن أنصار الدستور أو الفدراليون وهو الاسم الذي أطلق عليهم آنذاك من الاستحصال بسرعة كبيرة على قرار بالموافقة عليه . ثم تلتها ماساشوسيتس حيث أقر بأغلبية ضئيلة . وأمام المعارضة المتزايدة لمواد هذا الدستور والانتقادات الكثيرة الموجهة إليه وخاصة بأنه لا ينص على ضمان الحريات الأساسية للمواطن فقد قام الزعماء الفدراليون من أمثال هاملتون وماديسون وواشنطن بحملة إعلامية واسعة لشرح أهداف الدستور وتبديد شكوك معارضيه والإشارة للفوائد الجمة التي يمكن أن يؤديها للبلاد .وقد أعطت هذه الحملة نتائج طيبة إذ بلغ عدد الدول التي أقرته في حزيران سنة 1788 تسعة وهو الرقم الضروري لإقراره نهائيا إلا أن دولتين كبيرتين هما فرجينيا ونيويورك لم تتوصلا لإقراره بسبب قوة خصومه هناك .وأخيرا وبفضل تحالف كبار المزارعين في شرق فرجينيا وسكان الحدود أمكن إقرار الدستور في هذه الدولة بأغلبية ضئيلة .

أما في نيويورك فقد كان على الكسندر هاملتون أن يبذل جهودا جبارة لإقناع الدولة المذكورة بالموافقة على الدستور الجديد ولم يوفق إلا بعد أن هددت مدينة نيويورك بالانفصال والانضمام للاتحاد منفردة .وافقت ولاية نيويورك على الدستور الجديد وبذلك بلغ عدد الدول المؤيدة له أحد عشر ولم تلبث ولاية كارولينا الشمالية إن انصاعت لرغبات الأكثرية .

أما ولاية رودايلاند التي كانت منذ البداية معارضة للفكرة الاتحادية فلم تحضر مؤتمر فيلادلفيا ولم تفكر في دعوة مؤتمر لمواطنيها لبحث الدستور الجديد فإنها لم تلبث إن استسلمت لمشيئة الأكثرية بعد أن هددتها الدول الأخرى بأن تعاملها كدواة أجنبية واضعة التعرفات المرتفعة على بضائعها .

وبالرغم من كثرة المعارضين للدستور الجديد ولما أقره من تحديد صلاحيات الدول فإن البلاد استقبلت تصديقه النهائي بفرح عظيم. ولوضع الدستور موضع التنفيذ كان لابد من انتخاب رئيس للحكومة الفدرالية . فأتخذ الكونغرس التدابير اللازمة لإجراء أول انتخابات رئاسة في تاريخ الولايات المتحدة الأميركية كما أعلن أن الحكومة التي نص عليها الدستور الجديد ستبدأ عملها في (4 مارس) آذار سنة 1789 .ولم يكن أمام الأميركيين لتسلم هذا المنصب الرفيع من هو أفضل من واشنطن الذي اختير بالإجماع على الرغم من إنه لم يكن يطمع بهذا المنصب وكان يفضل متابعة حياته كمزارع في فرجينيا .وفي (30أبريل) نيسان سنة 1789 جرى تنصيبه رئيسا للولايات المتحدة الأميركية وأقسم يمين الولاء للدستور الأميركي .وانتخب جون أدامز من ولاية ماساشوسيتس كنائب للرئيس كما اختيرت مدينة نيويورك لتكون عاصمة للاتحاد.

تعديلات الدستور:

كان الفدراليون يدركون انه رغم انتصارهم في كل الدول فأن فئة كبيرة من الأميركيين كانت لا تزال معادية للدستور الجديد بصورة خاصة بسبب إهماله لقضية الحقوق الأساسية للمواطن: كحرية القول والعبادة والنشر كما إن بعض الدول كانت لا تزال خائفة على استقلالها.ولذا فقد تبنى الكونغرس في سنة 1789 عشرة تعديلات ثمانية منها تهدف إلى ضمان الحقوق الفردية والملكية الخاصة . والاثنان الباقيان يهدفان لضمان حقوق السيادة الداخلية للدول ضد تدخلات الدولة الاتحادية

ثم أصدرت تعديلات كثيرة بعد ذلك بلغ تعدادها حتة الان 22تعديلا . وكان اخرها التعديل الذي اقر سنة 1947 والذي يمنع تجديد انتخاب رئيس الجمهورية اكثر من مرة واحدة .

حكومة الولايات المتحدة :

وبموجب هذا الدستور جرى توزيع الصلاحيات بين سلطات ثلاث منفصلة هي

1. السلطة التنفيذية :

لقد اقر الدستور الأميركي جعل السلطة التنفيذية بيد رئيس الجمهورية الذي يمثل الدولة بكاملها . وهو مسؤول فقط أمام الشعب الأميركي وليس أمام البرلمان كما هي الحالة في الأنظمة الديمقراطية . إلا انه يمكن محاكمته أمام الكونغرس إذا اقترف جرائم عظمى . ويجري انتخاب الرئيس ونائبه بواسطة مندوبين ثانويين ينتخبهم الشعب مباشرة. فكل ولاية يحق لها أن تنتخب عددا من المندوبين يتساوى مع عدد ممثليها في مجلسي الكونغرس . ويجري هذا الانتخاب حكما في أول أثنين من شهر تشرين الثاني وترسل كل ولاية نتيجة الانتخابات فيها إلى رئيس الكونغرس الذي هو في نفس الوقت نائب رئيس الولايات المتحدة .وهو الذي يتولى جمع الأصوات .والمرشح الذي ينال أكبر عدد من أصوات المرشحين الثانويين يكون هو الفائز شرط أن يحرز .أكثر من نصف عدد المندوبين الثانويين الفائزين

ومدة ولاية الرئيس ونائبه هي أربع سنوات يمكن تجديدها .وفي حال وفاة الرئيس أو انقطاعه لسبب ما عن ممارسة سلطاته يحل نائبه مكانه حكما ويكمل مدته وإذا توفي نائب الرئيس أو .استقال حل مكانه رئيس مجلس الممثلين

أما سلطات الرئيس فهي واسعة جدا فهو الذي يمارس صلاحيات السيادة وهو القائد الأعلى للجيش والبحرية وهو الذي يعقد المعاهدات مع البلدان الأجنبية شرط أن يوافق عليها مجلس الشيوخ وكذلك يعين السفراء وقضاة المحكمة العليا وكبار موظفي الاتحاد بموافقة المجلس المذكور . ويساعد الرئيس موظفون إداريون يعينهم هو بعد موافقة الكونغرس ويكونون مسؤولين تجاهه وحده ولا يحضرون جلسات الكونغرس لأنهم غير مسؤولين أمامه . ويسمى كل من هؤلاء ناظر أ سكرتير ومنهم ناظر الشؤون الخارجية وناظر المالية وناظر الحربية والمدعي العام . ويشكل هؤلاء مجلسا يساعد الرئيس في أعماله دون أن تكون قراراته ملزمة للرئيس . ويسمى هذا ، أما نائب الرئيس فدوره محدد بموجب الدستور فهو فقط يرأس مجلس Cabinet المجلس . الشيوخ ويحل محل الرئيس إذا توقف عن ممارسة سلطاته

أما في مجالات التشريع فبالرغم من أن الدستور يجعل وضع القوانين من حق الكونغرس وحده ألا أن العادة جرت أن يتمنى الرئيس على الكونغرس صياغة قانون ما إذا وجد ضرورة لذلك كما أن

للرئيس الحق في أن يعيد للكونغرس أي قانون يرسل إليه ليوقعه فإذا أصر الكونغرس بأغلبية ثلثيه على القانون المعاد فعلى الرئيس قبوله . كما أن على الرئيس أن يكون أمينا على تنفيذ القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية .

2- السلطة التشريعية

أن السلطة التشريعية بموجب المادة الأولى من الدستور الأميركي منوطة بمجلس الكونغرس الذي يتألف من مجلسين :

- مجلس الممثلين : ويتألف من نواب ينتخبهم جميع المواطنين الأميركيين الذين لهم حق الانتخاب بصورة مباشرة . وبنسبة نائب واحد لكل ثلاثين آلف مواطن . وبذلك تتمثل كل ولاية بعدد من النواب يتناسب مع عدد سكانها . أما شروط الانتخاب فتحددها كل دولة لوحدها شرط أن تراعي فيها المبادئ الأساسية التي اقرها الدستور وهي المساواة التامة بين المواطنين . ويشترط في المرشح أن يكون قد بلغ الخامسة والعشرين من العمر وأن يكون أميركيا منذ سبع سنوات على الأقل . ومدة هذا المجلس سنتان فقط .

- مجلس الشيوخ : إذا كان مجلس الممثلين يمثل عامة الشعب الأميركي فإن مجلس الشيوخ يمثل الصفة الاتحادية للدولة الأميركية . فلكل ولاية أن تمثل فيه بمندوبين مهما كان عدد سكانها ومساحتها وبذلك فإن الولايات تتساوى في التمثيل والنفوذ داخل هذا المجلس . وقد جاءت هذه المساواة من جهة للمحافظة على حقوق الولايات الصغرى من طغيان الولايات الكبرى على الكونغرس ومن ناحية ثانية للحول دون الاتجاه نحو حكومة موحدة . وكان الشيوخ حتى سنة 1913 ينتخبون من قبل مجالس الولايات ولكن بعد التعديل الذي ادخل على الدستور الأميركي في السنة المذكورة صار الشيوخ ينتخبون من قبل الشعب مباشرة . والشروط المفروض توفرها في الناخب لانتخاب أعضاء مجلس الشيوخ تختلف عن الشروط التي يجب توفرها لانتخاب أعضاء مجلس الممثلين . ويفترض في المرشح لدخول مجلس الشيوخ أن لا يقل عمره عن ثلاثين سنة وان يكون أمريكيا منذ تسع سنوات على الأقل ، ويفترض في المرشح لدخول مجلس الشيوخ أن لا يقل عمره عن ثلاثين سنة وان يكون أميركا منذ تسع سنوات عل الأقل .

ومدة ولاية الشيخ هي ستة سنوات ويجري انتخاب ثلث أعضاء مجلس الشيوخ مرة كل سنتين وقد قصد من ذلك المحافظة على الاستمرار في سياسة المجلس وأعماله ويرأس هذا المجلس نائب رئيس الولايات المتحدة .

وللكونغرس بصفته الهيئة التشريعية العليا في حكومته الاتحادية سلطة سن القوانين في المجالات التي تتعلق بالنواحي (الوطنية والسياسة الخارجية). ومن صلاحياته الهامة فرض الضرائب وجبايتها وعقد القروض باسم الحكومة الاتحادية وتسديد الدين العام وصك العملة وحمايتها وحماية الأسهم وتحديد الموازين وتنظيم التجارة الخارجية وتأسيس مكاتب البريد والعمل على تقدم الفنون والعلوم وإصدار القوانين الجنسية ، وللكونغرس صلاحيات واسعة في شؤون الدفاع وإعلان الحرب وتشكيل الجيوش وقيادتها وله أيضا حق قبول دول جديدة في الاتحاد .

3- السلطة القضائية

وتمارس السلطة القضائية في الحكومة الاتحادية بموجب الدستور الأميركي المحكمة العليا والمحاكم الفدرالية الأدنى التي يعينها الكونغرس . وتتألف المحكمة العليا من رئيس وثمانية قضاة آخرين يعينهم رئيس الولايات المتحدة بعد موافقة مجلس الشيوخ . ويتوخى الرئيس عادة في اختياره لقضاة هذه المحكمة أن يمثل أعضاؤها جميع أقاليم البلاد ومذاهبها الدينية قدر الإمكان . ويعين هؤلاء لمدى الحياة مقابل مرتبات ضخمة .

وتنظر هذه المحكمة في النزاعات الناشبة بين الولايات الأميركية وفي الدعاوى المقامة على الحكومة الاتحادية من قبل الولايات أو الأفراد وبصورة عامة تنظر في جميع الدعاوى التي تطبق عليها القوانين الاتحادية ، وأهم صلاحيات المحكمة المذكورة هي التأكد من دستورية القوانين الصادرة عن الكونغرس أو مجالس الولايات ، وتأتي بعد المحكمة العليا المحاكم الفدرالية الموزعة في جميع أنحاء البلاد للعمل على صيانة القوانين الاتحادية .

حرب المكسيك

في سنة 1820 كان أكثر سكان تكساس التابعة للمكسيك من الامريكيين .وكانت الحكومة المكسيكية تشجع هؤلاء على الاستيطان في أراضيها أول الأمر ولكنها لم تلبث ان غيرت رأيها بعد ان شعرت بأنها تفقد تدريجيا السيطرة على المناطق. ففرضت قوانين شديدة على أهالي تكساس

وعملت على تحديد الهجرة الامريكية . وهذا ما جعل هؤلاء يعلنون استقلالهم في 1 تشرين الثاني سنة 1835 فقادت المكسيك ضدهم حملة عسكرية انتهت بهزيمة المكسيك وأعلنت تكساس جمهورية مستقلة برئاسة بطل حربها التحررية (هاوستن) وكان هؤلاء يريدون دخول الدخول في الاتحاد الأمريكي الا ان تمسكهم بالرق والتهديد المكسيك بالحرب اذا وافقت الولايات المتحدة على ذلك اخر هذا الدخول .

وفي تموز سنة 1845 أقر المجلس التمثيلي لجمهورية تكساس الانضمام للولايات المتحدة الامريكية .وبموافقة الكونغرس الامريكي على هذا القرار كان يدرك انه انما يلعن بصورة غير مباشرة الحرب على المكسيك. وبالفعل فقد بدأت هذه الحرب في 13 ايار سنة 1846 ولم تنته الا في سنة 1848 . ولما لن تكن القوى متكافئة على الاطلاق فان الولايات المتحدة ارسلت جيشاً وتمكن هذا الجيش . scoot (يتألف فقط من اثني عشرة الف جندي بقيادة الجنرال (سكوت من احتلال اكثر الاراضي المكسيكية ودخول العاصمة في 17 ايلول سنة 1847. وفي شباط سنة 1848 وقعت بين الدولتين معاهدة صلح أقرها مجلس الشيوخ المكسيكي اعطت الولايات المتحدة أراضي تكساس وكاليفورنيا ونيومكسيكو .كل ذلك مقابل خمسة عشر مليونا من الدولارات الامريكية .

وهكذا صار للولايات الامريكية نتيجة لهذه الحرب أراضي تقدر مساحتها بثمانية ملايين من الكيلومترات المربعة مع شواطئ واسعة على المحيط الاطلسي مما فتح امام الولايات المتحدة افاقا لا حد لها في التوسع خاصة وانه بعد اسابيع قليلة من ذلك ظهر الذهب في كاليفورنيا وبدا سيل من الهجرة المحمولة نحو هذه الارض.

الحرب الاهلية

في الوقت الذي كان فية الازدهار يعم البلاد الامريكية كلها في منتصف القرن التاسع عشر كان التباين أو بعبارة اصح الانقسام بين الشمال والجنوب اخذا في الظهور بشكل متزايد الوضوح. فأمريكا الموحدة كما ارادها واشنطن ومن خلفه من الرؤساء اخذة في الاتجاه لان تكون اثنين: اميركا الشمالية وامريكا الجنوبية .كان التباين بين قسمي أميركا الشمالي والجنوبي يتزايد مع تطور حضارة البلاد وازدهارها الاقتصادي. ففي الوقت الذي كانت الولايات المتحدة تتجه لان تكون

المركز الرئيسي للصناعة والتجارة والمال في البلاد كان الجنوب يعمل على تطوير زرعة القطن والقصب والأرز بحيث تصبح زراعة هذه المواد الدعامة الأساسية لاقتصاده. وبذلك يكون كل من الشمال والجنوب يسير في طريق اقتصادي مختلف عن الاخر مع ما يجره ذلك من اختلاف في العقلية والتفكير وطرق الحياة عن المواطنين.

والواقع ان الاقتصاد ليس المسؤول عن اختلاف الجنوب والشمال بل ان الطبيعة جعلت القسمين مختلفين من حيث التربة والمناخ والمياه والتكوين الجغرافي والجيولوجي وبالتالي كان لا بد لكل من القسمين ان يكون له أسلوبه الخاص في الحياة الاقتصادية وهذا ما يفرض بالضرورة نمطا معيا من التفكير السياسي. فانقسام البلاد الى مجتمعين صناعي في الشمال وزراعي في الجنوب أخذ يخلق للسكان مصالح متعارضة الى حد كبير .وقد رأينا ان هذا الاختلاف ظهر لأول مرة عند معالجة قضية: الحماية.

:الحماية

عندما طرحت قضية الحماية عند الاستقلال كان الهدف من ذلك تعزيز الاستقلال السياسي عن طريق جعل البلاد قادرة على سد حاجتها بنفسها .ولذا فقد عملت الحماية الجمركية على حماية الصناعة الامريكية بفرض رسوم مرتفعة على البضائع المستوردة من اوروبا .وقد لقيت هذه الضرائب مقاومة عنيفة من الجنوب الزراعي فيصدرونها للخارج ويشترون بثمنها مصنوعات اوروبية الجمركية عليها .وقد تأزمت هذه المشكلة زمن الرئيس جاكسون لدرجة هددت كيان الاتحاد. وعندما اقر الكونغرس سنة 1832 قانونا بفرض تعرفة جمركية جديدة عارضته كارولينا الجنوبية التي كانت تشعر منذ امد طويل بان الحماية تعود بالمكسب على الصناعيين في الشمال بينما يتضرر من ارتفاع الاسعار مزارعو الجنوب .ولم يلبث مجلسها التشريعي أن اعلن الغاء القانون الذي أقره الكونغرس معتمدا على نظرية حق مجلس الولاية في اعتبار اي قانون يصدره الكونغريس باطلا دستوريا ولا يكن نافذ المفعول في الولاية التي لا تقر ذلك القانون. وهذه النظرية طالما نادى بها وعمل من اجلها انصار حقوق الولايات وهم كثر آنذاك. ولم تلبث الولاية أن هددت بالانفصال فيما اذا أقر الكونغريس استخدام القوة ضدها. الان ان مجلس الولاية اضطر بعد ذلك للتراجع عن قراره من جهة لكون الولايات الجنوبية الاخرى لم تؤيد موقفه ومن جهة اخرى نظرا

للإصرار الرئيس جاكسون على استخدام جميع الوسائل للمحافظة على وحدة البلاد. الا ان هذا لم يغير شيئا من واقع نظرة الجنوبيين الى قوانين الحماية الاقتصادية .ومع الحمايات برزت قضية اخرى هي قضية البنك المركزي كانت ايضا مثار خلاف بين الفريقين فبينما كان الشماليون يريدون تنظيم المصارف الوطنية وايجاد بنك مركزي قوي كان رجال الجنوب يعارضون قيام هذه المؤسسة .ويرون فيها وسيلة تساعد الدولة بها اصحاب النفوذ ورجال المال على زيادة ثروتهم

:توزيع الاراضي

وكان الشماليون نظرا لرسوخ الديموقراطية بينهم ولازدهار الطبقة الوسطى يريدون من الدولة ان توزع اراضيها الواسعة في الغرب مجانا على المزارعين ان لا توزع الدولة أراضيها الا مقابل اثمان مرتفعة وذلك رغبة منهم بخصر ملكية الأرض بطبقة كبار المزارعين ولمنع انخفاض الاسعار .المنتوجات الزراعية

ولما كان اكثر سكان الشمال من العاملين في التجارة والصناعة والنقل فقد كان يهمهم زيادة عدد .المزارعين والمساحات الزراعية ليتمكنوا من لحصول على حاجاتهم بأسعار منخفضة

:الرق

الان ان الخلاف بين الشمال والجنوب لم يلبث ان انتقال من الصعيد الاقتصادي الى الصعيد الاجتماعي أي الى مشكلة الرقيق. لقد ورثت حكومة الولايات المتحدة مع ما ورثته عن السلطات الاستعمارية الانكليزية مشكلة وجود عدد كبير من العبيد في أراضيها .واثناء وضع الدستور الامريكي طرحت هذه القضية من الناحية القانونية الا ان واضعي الدستور وجدا انفسهم مكرهين على الابقاء على هذا النظام شكلا من اشكال الملكية الفكرية الفردية التي يصونها الدستور .غير ان الولايات المتحدة لم تلبث أن أمرت من سنة 1807 بمنع تجارة الرقيق الخارجية بمعنى انها امرت بمنع استيراد من الخارج. لكن عدد الزنوج في اميركا كان قد اصبح كبيرا لدرجة ان تناسلهم السريع كان يعوض عما كان يأتي قبلا من افريقيا. ومن هذا التاريخ بدا الطلب على العبيد يزداد بشكل كبير نظرا للتوسع في زراعة القطن في الجنوب. ولما كانت هذه الزراعة تحتاج الى اليد العاملة الرخيص الثمن والقادرة على العمل في ظل حرارة شديدة و رطوبة مرتفعة فان كبار مزارعي

الجنوب لم يجدوا وسيلة افضل من اقتناء اعداد كبيرة من العبيد الزنوج يستغلونهم في ظروف قاسية وفي أغلب الحالات غير انسانية.

وفي الوقت الذي اخذت ولايات الشمال تحرر عبيدها وتمنع الرقيق كانت الحاجة الى هؤلاء في تزايد مستمر في الجنوب. بل ان الرقيق اصبح الاساس الذي يقوم عليه اقتصاد الجنوب حيث مارس زراعة القطن وقصب السكر في مساحات ضخمة وفي الظروف مناخية لم يعتمد الرجل الأبيض على تحملها. ومع تزايد عدد الرقيق في الجنوب كانت تتزايد الدعوة في الجنوب لتحريرهم ولرفعهم الى مستوى مواطن مساو للرجل الابيض .البا ان الجنوب مع الوقت يرى في تمسكه بنظام الرقيق تعبيرا عن حقه في الحرية ودليلا على قدرته على المحافظة على مؤسساته ونظمه داخل الولايات المتحدة الاميركية .ومع تطور زراعة القطن السريع أخذ يزداد عدد الرقيق بشكل سريع في الجنوب حتى أصبح الهدف الرئيسي لسكان الجنوب الدفاع عن هذا النظام ضد دعاة التحرير من الشماليين. مع الوقت اصبح اصحاب المهن الحرة والمثقفون ورجال الكنيسة ليس فقط يقبلون هذا النظام وانما يدافعون عنه بقوة وحماس اذا كانوا يقولون بانه أكثر فائدة ورحمة بالنسبة للزنوج من النظام الاجور المطبق على الطبقة العاملة في الشمال.

ولما كانت زراعة القطن من الزراعات التي تنهك الارض بسرعة وتقضي على خصوبتها فقد اخذ الجنوبيين يسعون للحصول على ارضي جديدة في الغرب يقيمون فيها ولايات جديدة تسمح بامتلاك العبيد .ولما كان الشماليون فقد اخذوا يدعون لمنع الرقيق في الاراضي التي كانت لا تزال ملكا للاتحاد ولم تصبح بعد ولايات .فقد اخذ الخلاف بين الفريقين حول هذا الموضوع ينتقل الى الارضي الجديدة في الغرب. وكان كل فريق يعمل على ان لا تنضم الى الاتحاد ولاية جديدة تؤيد الفريق الاخر وتغير النسبة الموجودة في الكونغريس بين مندوبي الفريقين.

وعقب انضمام ولاية تكساس والاراضي التي تم الاستيلاء عليها خلال حرب المكسيك أراد الشماليون ابقاء هذه الولايات أراضي حرة الا ان تكساس التي اعتادت السماح بامتلاك الرقيق دخلت الاتحاد على هذا الاساس. ولذا فقد اخذ الشماليون يطالبون بمنع الرقيق في الولايات الباقية : كاليفورنيا , نيو مكسيكو, ويوتاه بينما كان الجنوبيين يطالبون بإصرار بجعل هذه الولايات مباحة للرقيق وبالتالي فهم يطالبون أن يمنحوا الحق بالهجرة الى هذه الولايات مع

عبيدهم . وقد انتهى هذا الخلاف بتسوية حافظت على التوازن في الكونغريس بين الولايات التي تبيح الرقيق وتلك التي تحظره. الا ان هذا التدبير لم يقض على اسباب الخلاف وظل التوتر بين الفريقين في تزايد مستمر خاصة وان انصار تحرير الرقيق كانوا ناقمين جدا على القانون الذي كان يجبر الولايات المتحدة الحرة على ارجاع احد العبيد اذا لجأ اليها هربا من سيده ,في ولاية يسمح فيها امتلاك الرقيق وفي سنة 1854 احتدم النزاع مجددا حول قضية الرقيق في الأقاليم الجديدة بشكل عنيف ولذلك عندما حاول الجنوبيون التوسع في اقليم نبراسكا الشاسع وتحويله الى ولاية تقر الرقيق. وكان الشماليون يريدون الاستيطان في هذه المناطق وتحويلها الى ولايات حرة ليس فيها مكان للرقيق. وقد تمكن الجنوبيون بمساعدة احد الزعماء ولاية الينوي الشيخ ستيفن دوغلاس في شهر مايو سنة 1854 من جعل الكونغرس يقر قانونا يسمح للمهرجان الى هذه الاراضي بنقل رقيقهم معهم .على ان يتولى السكان فيما بعد تقرير ما اذا كانوا يريدون الانضمام للاتحاد كولاية حرة أو كولاية تمارس الرقيق .ولقد لقي هذا القانون معارضة شديدة للغاية في الشمال من قبل الصحافة ورجال الأعمال ورجال الدين .وعقب اقرار هذا القانون ظهر في البلاد حزب جديد وهو الحزب الجمهوري جعل مطلبه الرئيسي تحريم الرقيق في جميع انحاء الولايات المتحدة . وقدم مرشح عنه لرئاسة الجمهورية سنة 1856 خسر الانتخابات ولكنه حصل على نسبة مرتفعة جدا من أصوات الشماليين.

وفي سنة 1857 أصدرت المحكمة العليا في أميركا قرارا اثار الشماليين أغضبهم الى حد كبير عندما حكمت بصدد قضية (دريدسكوت) وهو زنجي ذهب برفقة يسده الى الولاية حرة فطالب بحريته, ان العبيد يعتبرون املاكا لأسيادهم بحكم الدستور وانه ليس هنالك أقاليم حرة في اميركا.

رئاسة لنكولن

كان ابراهيم لنكولن من مواليد الغرب الاوسط وكان يمتاز من بين زملائه المحامين المشتغلين بالسياسة بمحاربته العنيفة للرق فكان ينادي بأن كل تشريع وطني يجب ان يقوم على مكافحة هذا النظام. وكان يطلب بمكافحته ليس فقط في المناطق الجديدة وانما في جميع انحاء الولايات المتحدة. ومنذ 1858 بدأ سلسله من المناقشات العلنية , مع الشيخ (ستيفن دوغلاس) حول قضية الرق وكان لينكولن مرشح الحزب الجمهوري عن ولاية الينوي لمجلس الشيوخ بينما كان

خصمه مرشح الحزب الديموقراطي وبالرغم من خسارة مرشح الجمهوريين الا ان مناقشاته مع خصمه ودعوته لتحرير الرقيق بقوة واخلاص جعلته احد ابرز زعماء البلاد وأقوى المرشحين لرئاسة الجمهورية.

وفي سنة 1860 قدم ترشيحه لرئاسة الولايات المتحدة الامريكية عن الحزب الجمهوري ,اما الديموقراطيون فقد انقسموا على انفسهم وقدموا مرشحين هما دوغلاس من الشمال وبريكندريدج من الجنوبيين المتعصبين لنظام الرق. ولم يكتف الجمهوريون بجعل تحرير الرقيق أول بنود برنامجهم الانتخابي بل اضافوا اليه المطالبة برسوم جمركية مرتفعة لمزيد من الحماية للصناعة وتعهدوا بتوزيع الاراضي على سكان دون مقابل .وهذه امور كلها معرضه لمصالح الجنوبيين ورغباتهم .ولذا فلقد كانت هذه المعركة عنيفة للغاية وكان يبدو ان على نتيجتها يتوقف مصير الاتحاد ووحدته اذ كان من المعروف ان الجنوب لا يمكن ان يقبل بشخص لينكولن كرئيس للدولة ولا ببرنامجه الانتخابي كمنهاج عمل لحكومته. بل ان الجميع كانوا يعرفون ان ولاية كارولينا الجنوبية, ستعلن انفصالها عن الاتحاد اذا فاز مرشح الجمهوريين.

وفي الانتخابات التي جرت في 6 تشرين الثاني سنة 1860 فاز الرئيس لينكولن بأغلبية ضئيلة ولم ينل اكثر من 40 بالمئة من الاصوات كما انه لم يحصل على اصوات أي من الولايات الجنوبية ولعل السبب الاساسي في فوزه يرجع الى توزيع أصوات الحزب الديموقراطي بين مرشحيه.

لقد ادرك الجنوبيين وبصورة خاصة دعاة المحافظة على الرقيق وانصار حقوق الولايات المغزى الحقيقي للانتخاب الرئيس الجمهوري الجديد باعتبار انه لم يكن قد مر الزمن طويل عل تصريحه الذي اكد فيه على رغبته في تحريم الرق وفي المحافظة على وحدة البلاد في نفس الوقت .لقد ادركوا ان الشمال بتأييده وانتخابه للرئيس لينكولن انما يعبر ذلك عن تصميمه الاكيد عل وقف انتشار الرقيق في الاراضي الجديدة ان لم يكن على تحريمه في كل اراضي الاتحاد

.

حلف الولايات المتحدة

لقد استقبل انتخاب الرئيس الجديد بالترحيب الكبير في ولايات الجنوب لأنها رات فيه فرصة مناسبة تتحر فيها من ارتباطها بالاتحاد الذي لم يعد يؤمن لها مصالحها كما تريد هي وكما تريد سكانها.

وكان ان اخذت ولاية كارولينا الجنوبية زمام المبادرة واعلنت في 20 كانون الاول سنة 1860 في مجلسها التمثيلي وبأجماع الاصوات ان الاتحاد القائم بين كارولينا الجنوبية وباقي الولايات تحت اسم الولايات المتحدة الامريكية قد انحل بهذا القرار ولم تلبث ان تبعتها ست ولايات اخر هي (جورجيا, الاباما, فلوريدا, لويزيانا وتكساس) وقبل ان يتسلم الرئيس الجديد صلاحياته عقدت الولايات السبعة مؤتمرا في مدينة موتنغومري (الاباما) وأعلنت في 6 شباط سنة 1861 انضمامها confederated states of America في اتحاد جديد يعرف باسم حلف الولايات الأميركة وانتخبت الدولة الجديدة رئيسا لها وزير حربية الولايات المتحدة السابق وبطل الحرب المكسيك ((جيفرسون دافيس.

في 4 اذار سنة 1861 اعلن الرئيس لينكولن في الخطاب الذي ألقاه بمناسبة سلطات الرئاسة رفضت الاعتراف بالانفصال معتبرا اياه باطلا من الناحية القانونية كما انه اظهر مرونة كبيرة ورغبة في المصالحة اذ قال انه يقصر معارضته لنظام الرق فقط على الاراضي الجديدة وانه يقبل به حيث يوجد فعلا وقد ناشد الجنوبيين العودة عن قرارهم والبقاء في الاتحاد. كما تعهد بان لا يعمد الى القوة الا اذا استعملها الجنوبيين ضد حكومة الاتحاد.

وعمل الكونغرس ايضا بوسائل مختلفة على اعادة الجنوبيين الى الاتحاد الا ان هؤلاء باتوا يعتبرون انه من المستحيل التعاون مع الرئيس الجديد ومع حزبه الجمهوري. وكانوا يصرحون بانه اذا زال النظام الرقيق فان الشمال سوف يغطي على الجنوب سياسيا واقتصاديا . كما ان كون المنطقتين واحدة زراعية والاخرى صناعة جعل لكل منها مصالح اساسية لا يمكن التوفيق بينها.

الحرب:

بعد الانفصال بقيت هناك حامية فيدرالية بالقرب من مرفأ شارلستون الجنوبي, في حصن فورت سمتر fort Sumter وكان عدد أفرادها لا يزيد عن ثمانين رجلا. وامام حاجة هذه الحامية

للمؤن أمر الرئيس الجديد بتموينها بالأغذية فقط دون الاسلحة .الا ان الجنوبيين اعتبروا هذا التصرف عملا عدائيا فانطلقوا في 12 نيسان سنة 1861 نيران مدفعيتهم على الحصن مما جعل حمايته تستسلم بعد يومين فقط وبدأت الحرب فعلا. وعقب هذا الحادث ارتفع عدد الولايات المنفصلة الى احدى عشرة اذا انضمت الى الجنوبيين ولايات(اركنساس ,وكارولينا ,وفرجينيا ,.ومسيسبي)

لقد أجبر هذا التصرف الحربي الشمال على التخلي عن مساعيه للمصالحة والاستعداد الفعلي للحرب. ذلك ان الشمال لم يكن في الاساس متحمسا لمحاربة الجنوب بل ان بعض الفئات كانت ترحب بهذا الانفصال باعتبار انه يسمح بإلغاء الرقيق نهائيا في الشمال وفي اراضي الغرب التابعة للاتحاد كما ان فئة الرأسماليون وأصحاب المصارف كانوا يعارضون الحرب باعتبار ان كانت لهم ديون في الجنوب تزيد على مئتي مليون دولار. الا ان تصرف الجنوبيين الحربي وانزال علم .الاتحاد من على حصن قضى على كل تردد في الشمال وباتت الحرب مطلباً قوميا ووطنيا
على أثر حادثة فورت سمتر دعا الرئيس لنكولن جيشا من 75 الفا من المتطوعين لإخماد الفتنة وتثبيت سلطة الاتحاد .وقد لبت الولايات الشمالية نداء الرئيس بقوة وحماس وكذلك فعلت الولايات .الجنوبية فأخذت تجهز الجيوش وتستعد للحرب بناء لدعوة رئيسها
واذا نحن استعرضنا امكانية الفريقين نجد ان الشماليين كانوا منذ البادية اكثر قوة وامكانيات. كان الشماليون يسيطرون على ثلاث وعشرين ولاية يقطنها حوالي عشرون مليونا من السكان .وكان الشمال يسيطر على مناطق الغرب الاوسط التي بقيت على ولائها للاتحاد .وكانت هذه المناطق على درجة كبيرة منم الازدهار الصناعي ,تضم بصورة خاصة مصانع كثيرة تؤمن حاجيات الحرب .وفيها شبكة واسعة من الطرق الحديدية اللازمة لنقل هذه البضائع
اما الجنوبيون فكانوا يسيطرون على احد عشر ولاية تضم عشرة ملايين من السكان منهم ثلاثة ملايين من الزنوج العبيد. وكان الجنوب يفتقر الى صناعة مزدهرة والى مصانع السلاح فكانت اكثر اسلحته تأتيه بواسطة التهريب من اوروبا .بالرغم من ضعف الجنوبيين فقد كانت لديهم عوامل

ساعدتهم على الصمود . ذلك انهم كانوا يحاربون في اراضيهم وبالتالي فان خطوط مواصلاتهم .كانت قصيرة ثم انهم بحكم عملهم كمزارعين كانوا اقدر على تحمل الحياة القاسية والحرب

:موقف اوروبا من الحرب

منذ اعلان الانفصال سعى الفريقان لاكتساب ود اوروبا وتأييدها . فالجنوب علق امالا كبيرة على اعتراف اوروبا باتحاد الجديد. وقد حرص بصورة خاصة على الحصول على تأييد انكلترا واعترافها . ذلك ان الجنوب الزراعي كان يعتمد على مصانع انكلترا في كل ما يحتاجه من المصنوعات والاسلحة الحربية ولذا فقد ركز الجنوبيون جهودهم حول اقناع الانكليز بتأييد قضيتهم. وقد انقسم الانكليز الى فريقين: فرجال الدولة والصناعيين ورجال المال والفئات المثقفة كانت رغم معارضتها للرقيق تميل لنصرة قضية الجنوب لاعتبارات عديدة .منها رغبتهم في الثأر من هزيمتهم في حرب الاستقلال. واضعاف الولايات المتحدة بتقسيمها الى دولتين فلا تعود دوله كبرى تزاحم المصالح البريطانية في امريكا والبحار. ثم ان رجال المال والصناعة كانوا يرون في الجنوب اذا استقل سوقا واسعة لبضائعهم ولاستغلال رساميلهم بعيدا عن مزاحمة رجال المال والاعمال الشماليين. اما الراي العام البريطاني فكان بصورة عامه يعارض الحرب ويؤيد وحدة الامريكيين لدوافع إنسانية نظرا لكرهه لنظام الرقيق ثم لكون الحرب الاهلية قد ادت الى البطالة بين عمال النسيج في بريطانيا .وحتى سنة 1863 كانت بريطانيا مترددة في اتخاذ موقف معين تجاه الحرب الاهلية الامريكية وكل ما فعلته هو انها اعترفت للجنوبيين بحقوق المحاربين . وبعد انتصارات الشماليين في تموز (يوليو) سنة 1863 اقلعت بريطانية عن كل تفكير في الاعتراف باستقلال الجنوب . اما فرنسا التي كانت تستهلك كميات كبيرة من القطن الامريكي فكانت تعطف على قضية الجنوب رغم عدائها الشديد لنظام الرقيق وكل ما اقدمت عليه فرنسا هو انها اعترفت للجنوبيين بحقوق المحاربين. كما ان نابليون الثالث حاول ان يدفع اوروبا لتدخل جماعي في العالم الجديد الا ان اقتراحه لقي . معارضه شديدة من انكلترا وروسيا

وهنا لا بد من الاشارة الى ان تطور الاوضاع في اوروبا اثناء الحرب الاهلية الامريكية طرح على بساط السياسة الاوربية سلسة من المشاكل الهامة جعلت اوروبا تحول اهتمامها نحو مشاكل القارة بصورة خاصة. وابز هذه القضايا : تطورت قضية الوحدة الايطالية وما طرحته من مشاكل

في ايطاليا وقيام الثورة في بولونيا (1863–1864). اما نابليون الثالث فقد بات اكثر اهتماما منذ سنة 1863 بتثبيت دعائم عرش صديقه الامبراطور مكسيميليان في المكسيك.

الأعمال الحربية:

لقد جرت الاعمال الحربية على ثلاث جبهات رئيسية : البحر,جبهة الولايات الواقعة على شاطئ الاطلسي وجبهة الميسيسيبي. ففي البحركان هدف البحرية الشمالية الاول فرض حصار قوي على الشواطئ الجنوبية قد تمكنوا بفضل السفن التي اشتروا من انكلترا ان ينزلوا خسائر هامة ببحرية الاتحاد. يكفي ان نذكر على سبيل المثال ان السفينة الجنوبية (الاباما) قد أغرقت 65 قطعة بحرية للشماليين قبل ان تضرب هي سنة 1864 . لا ان الحصار الشمالي اخذ يعطي ثماره من سنه 1863 بان حال دون شحن القطن الى اوروبا واستيراد السلع التي كان الجنوب في أمس الحاجة اليها وخاصة تلك المتعلقة بضرورات الحرب.

وفي وادي المسيسيبي حققت الجيوش الاتحادية بقيادة الجنرال غرانت سلسلة من الانتصارات .فقد احتل ميناء ممفيس الهام على نهر المسيسيبي واخذ يتقدم نحو الجنوب حيث كان الاسطول الاتحادي قد احتل مرفأ نيو اورليانز الهام عند مصب هذا النهر. وبعد انتصاره في معركة فكسبرغ في الغرب بات الوادي العظيم كلهبأيدي الشماليين وكذلك مجرى النهر من الشمال حتى الخليج المكسيك وبذا مني الجنوب بضربة قاسية باعتبار انه قد انعزل عن ولايتي اركناس وتكساس الغنيتين الواقعتين ما وراء الضفة الغربية للنهر.

اما على جبهة الولايات الساحلية فقد حقق الجنوبيين بقيادة الجنرال (لي) عدة انتصارات وأخذوا يهدمون اراضي الشمال بشكل جدي .الا المعركة غيتسبورغ التي جرت بين 1 و 3 يوليو (تموز) سنة 1863 كانت بداية انتصارات الشماليين في هذه المنطقة . وكانت هذه المعركة نقطة تحول في تاريخ الحرب الاهلية الامريكية الا انه جرت بعد ذلك معرك عنيفة طيلة سنتين قبل ان تسقط مدينة ريتشموند عاصمة الجنوبيين بايدي جيش الاتحاد روقبل ان يستلم الجنرال (لي) قائد الجيوش الجنوبية مع رجاله الى الجنرال غرانت في الشمال فرجينيا في 9 نيسان سنة 1865 . وبذا انتهت هذه الحرب الاهلية التي اوقعت بالفريقين خسائر فادحة وخاصة بالأرواح . فقد خسر الشماليون حوالي 360 الف جندي من اصل مليوني جندي شاركوا في اعمال القتال. اما

الجنوبيون فقد بلغت خساراتهم حوالي 250 الف من الجنود اي حوالي ثلث عدد مقاتليهم .كما ان ولاياتهم منيت بخسائر مادية كبيرة باعتبار أنها كانت مسرحا للأعمال الحربية يضاف الى هذه الخسائر حوالي بليوني دولار ثمن العبيد الذين حرروا بعد انتهاء الحرب. اما على الصعيد الاقتصادي فالخسائر كانت غير محدودة .فكارولينا خسرت حقول الارز التي اجتاحتها المياه المالحة بسبب الاهمال اثناء الحرب . ولويزيانا انهارت فيها صناعة السكر ولم تعد الى سابق ازدهارها . والقطن الذي كان يسمى في السابق ((الذهب الابيض)) فقد تدهورت اسعاره لعدم امكانية تصديره اثناء الحرب. اما بعد الحرب فلم تعد اسواقه موفورة باعتبار ان انكلترا قد أوجدت . (لنفسها مصادر أخرى (الهند , مصر

وكان الرئيس لينكولن مدركا لكل هذه المشاكل ولذل فلقد اراد ان يسهل امام الولايات الشمال وان يساعدها على حل مشاكلها السياسية والاقتصادية, الا ان الرئيس لم يلبث ان اغتاله ممثل اسمه (جون بوث) بعد خمس ايام من انتهاء الحرب الاهلية بينما كان يحضر احدى المسرحيات في واشنطن .وقد حاول نائبه وخلفه (جونسون) الجنوبي المولد ان يكمل مهمته وان يعمل على اعادة الوحدة الى البلاد. التربية

:قوانين تحرير الرقيق

لقد تم تحرير الرقيق على مراحل فقد اصر الرئيس لينكولن في 22 سبتمبر (أيلول) سنة 1862 اعلانا بان جميع الارقاء في الولايات المتمردة او الاراضي الخاضعة لها سيكونون احرار ابتداء من 1 كانون ثاني (يناير) سنة 1863 . وبعد هذا التاريخ اخذت بعض الولايات تصدر بواسطة .مجالسها التمثيلية قوانين تحرير الرقيق

وفي 18 ديسمبر (كانون الأول) سنة 1865 وافق الكونغرس الاميركي على التعديل الثالث عشر .للدستور الاميركي الذي قضى بتحريم الرقيق في جميع أراضي الولايات المتحدة الاميركية

عصر النمو والاعمار

اذا كانت الحرب الاهلية قد خلفت في ولايات الجنوب دمارا كبيرا فان البلاد بمجموعها لم تتأثر كثيرا بظروف الحرب بل ربما امكن التأكيد بأن الحرب قد دفعت عجلة التطور الاقتصادي بقوة الى الامام .كما ساهمت في الاسراع باستغلال موارد البلاد الواسعة وتطور صناعتها لتلبية ضرورات القتال

لقد عرف اقتصاد البلاد الاميركية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبصورة خاصة في السنوات التي أعقبت الحرب تطورا مدهشا شمل جميع وجوه الحياة الاقتصادية والعمرانية .ذلك ان عناصر كثيرة كانت تتضافر لإنماء البلاد وتطويرها.

فالولايات المتحدة تمتلك مساحات شاسعة في الاراضي الخصبة والغابات الواسعة التي كانت تمون البلاد بالأخشاب في فترة كان يعتبر الخشب فيها مادة اساسية للصناعة. وموارد الارض من الفحم والحديد والنحاس والذهب والبترول كانت غير محدودة ولم تكن الرساميل تنقص أهالي المدن الشمالية الذين كانوا قد حصلوا على الكثير منها في النصف الأول من القرن التاسع عشر عن طريق ممارساتهم للتجارة والصناعة , يضاف الى ذلك ان الرساميل الاوربية كانت تتدفق على البلاد بشكل غزير طمعا بالربح الوفير. أما اليد العاملة الضرورية لاستثمار الارض والبحث عن ثرواتها الطبيعية فكانت موفرة بسبب الهجرة الكثيفة من أوروبا والتي كانت تؤمن للبلاد ما تحتاج اليه من الأيادي الخبيرة في شؤون الصناعة بصورة خاصة .يكفي ان نذكر على سبيل المثال ان تعداد الوافدين على الولايات المتحدة من الخارج قد بلغ مليونا وثمان مئة الف مهاجر بين سنتي 1871 و 1880 نزلوا اولا في الولايات الشرقية ومنها انتشروا في كل انحاء البلاد.

يضاف الى كل ذلك ان الشعب الولايات المتحدة كان قد اتخذ لنفسه قيما جديدة اساسها تقديس العمل واحترام المبادرة الفردية. كما انه عرف كيف يقيم في بلاده مؤسسات سياسية واجتماعية وقضائية لها صفة الاستقرار والثبات.

ان تضافر هذه العناصر مجتمعة عمل على ايجاد نهضة جبارة شملت جميع وجوه الحياة في الولايات المتحدة الامريكية وجعل من هذه البلاد في مدة قصيرة وقبل انتهاء القرن التاسع عشر دولة كبرى ذات دور أولي في حياة العالم.

وسنحاول ان نعرض اوجه هذا التطور باختصار في لأهم مجالات الحياة الامريكية.

الزراعة:

حتى منتصف القرن التاسع عشر كانت الزراعة تعتبر الاساس الذي تقوم عليه اقتصاديات هذه البلاد بصورة عامة رغم وجود تجارة ناشطة وصناعة على شيء من التقدم في الشمال. ولذا فقد كان اهتمام السلطات الحكومية بها كبيرا وقد تجلى هذا الاهتمام بالعمل على اعمار السهول

الغربية وعلى استثمار الأراضي التي ضمت للاتحاد بعد الحرب مع المكسيك وتلك التي تخص الهنود والتي كان يجري الاستيلاء عليها تدريجيا .ولتشجيع استثمار الاراضي الجديدة والاقامة فيها أصدر الكونغريس سنة 1862 اثناء الحرب الاهلية قانونا يقضي بإعطاء مساحة من الأرض تبلغ 165 فدانا بدون مقابل لكل أمريكي أو مهاجر جديد شرط التعهد بزراعتها واستثمار لمدة خمس سنوات .

وفي نفس الوقت قدم الكونغرس خدمة أخرى قصد منها تطور الزراعة من حيث النوع وتحسن أساليبها حين اقر قانونا يمنح حكومة كل ولاية مساحات واسعة من الاراضي الحكومية الفدرالية دون مقابل وذللك لتقام عليها مدارس زراعية ومحطات تجارب ومراكز للأبحاث .وكان لهذا القرار أثر كبير في تطور الزراعة فيما بعد خاصة في مجال تحسين الأنواع وزيادة المردود.

وكان لقانون توزيع الاراضي على المواطنين اثر بارز في اعمار واستثمار الأراضي الواسعة الممتدة الى الغرب حتى شواطئ المحيط الهادئ. ولم تكد تأتي سنة 1880 حتى كانت الحكومة الامريكية قد وزعت حوالي 56 مليون فدان على المزارعين جدد استثمروا في كل أرض كانت لا تزال غير مأهولة وغير مستثمرة فأقاموا فيها القرى والمزارع واستغلوها لصالح الاقتصاد الامريكي.

ومع توسع في الغرب كانت المواشي تنتشر بسرعة هائلة في المناطق الصالحة لذلك وبصورة خاصة في كنساس ونبراسكا اللحوم. وبذلك أصبحت تربية المواشي موردا كبيرا من موارد الولايات المتحدة الاقتصادية.

ومما زاد سرعة تطور الزراعة ونموها هو ان الانسان الامريكي قد عرف كيف يضع العلم والتقنية في خدمة الزراعية .فقد حلت الآلات الميكانيكية محل الاسنان في كثير من العمليات الزراعية.

ولم يكد ينتهي القرن التاسع عشر حتى كانت الولايات المتحدة قد أصبحت أكبر دولة زراعية في العالم . فهي الأولى في انتاج القمح والقطن والتبغ والذرة ومن اغنى دول العالم بالمواشي واللحوم.

: الصناعة

أما الصناعة فقد حققت هي أيضا تطورا مدهشا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ولعل مرد ذلك الى اكتشاف مصادر غنية ومتنوعة للمواد الأولية . فمع توسع في اعمار الأراضي

الجديدة في الغرب الاوسط والغرب من الولايات المتحدة كانت تجري أعمال التنقيب عن الفحم والحديد وهما المادتان الأساسيتان لنمو صناعة الصلب على نطاق واسع جدا.

ولم تكن تحل سنة 1890 حتى كان انتاج الولايات المتحدة من الصلب يزيد عن انتاج بريطانيا . وهما أول دولتين في العالم في الصناعة الصلب آنذاك .

وكذلك استغل اول بئر للبترول في بنسلفانيا سنة 1859 وكان زيته يستعمل للإنارة بالدرجة الاولى ولكن مع اكتشاف المحرك البخاري حدث تطور في استغلال هذه المادة التي أظهرت أعمال التنقيب انها موفورة بكلمات كبيرة في الباطن الارض الامريكية. وقبل أني ينتهي القرن التاسع جميع انحاء الولايات المتحدة لتؤمن حاجات الصناعة ووسائل النقل المتزايدة لمواد الوقود السائل.

ومع تطور اعمال البحث والتنقيب ظهر ان الولايات المتحدة كميات هائلة من النحاس والزئبق والكبريت والرصاص والذهب والفضة استغلت أيضا لإنماء وتطوير الصناعة.

يضاف الى ذلك ان مرحلة الكشف عن الثروات البلاد المعدنية واستغلالها قد رافقتها مرحلة تطور علمي وتقني هائلة استغلت لتطوير الصناعة وتحسينها . يكفي ان نذكر على سبيل المثال ان شهادات الاختراع التي أعطيت للأفراد والمؤسسات في الولايات المتحدة بين سنة 1860 و 1890 وقد بلغت 440 ألف براءة.

وقد امتازت الصناعة الامريكية بأنها لا كانت تقوم منذ البداية على اساس التنظيم العلمي الدقيق والانتاج الغزير نظرا لاتساع السوق الامريكية .

هذه العوامل مع توافر الرساميل والأيدي العاملة الخبيرة أوجدت في البلاد ثورة صناعية قوية , فتدفقت السلع والحاجيات الى الاسواق بغزارة وحل المصنع نهائيا محل الحرف الصغيرة ولم تعد العائلات في الريف تصنع أي شيء مما تحتاجه من الملابس أو أدوات منزلية كما كانت تفعل في فترة الاكتفاء الذاتي .

وهنا لا بد من الاشارة الى ان الضرائب الجمركية المرتفعة التي فرضها رجال الشمال عند بدء الاستقلال والتي ارتفعت كثيرا سنة 1864 وذلك بقصد تغطية نفقات الحرب ظلت قائمة لمدة طويلة بسبب تمسك رجال الصناعة ليس في الشمال فقط وانما في جميع انحاء الباد بها. وقد لعبت هذه الحماية دورا اساسيا في تطوير الصناعة الامريكية وساعدتها على تفادي مزاحمة

الصناعات الأوروبية . وبالرغم من هذه الحماية كانت مؤدية لمصالح المزارعين فأنها بقيت طيلة القرن التاسع عشر ولم يطرأ عليها أي تعديل قبل سنة 1913 رغم احتجاجهم المتواصل .

طرق المواصلات:

في سنة 1862 اثناء الحرب عملت الحكومة بقوة على تطوير السكك الحديدة نظرا لأهميتها في تطوير الاقتصاد الامريكي .ولكي تشجع مد خطوط جديدة وبصورة خاصة في أراضي الغرب الجديدة فقد منحت دون مقابل اثنتان من كبريات شركات الخطوط الحديدية العاملة في أواسط البلاد وفي مساحات central pacific وسنترال باسيفيك union Pacific غربها وهما : يونيون باسفيك من الارض تمتد الى عشرين ميلا على جانبي الخطوط الجديدة التي تقوم بأنشائها . وكان الهدف من هذه المساعدة العمل على ربط شواطئ المحيط الهادئ بالشواطئ الأطلسية للولايات المتحدة . على الرغم من الصعوبات الهائلة فقد تم التقاء الخط الحديدي الاتي من مدينة سان فرانسيسكو بالخط الاتي من الشرق عبر جبال روكي في الشمال ولاية (اوتاه) في اليوم العاشر من شهر مايو سنة 1869 .

ووزعت الحكومة والولايات على الشركات السكك الحديدية أراضي بالمجان تبلغ مساحتها حوالي 60 مليون هكتار أي ما يوازي مساحة فرنسا تقريبا. وقد قامت الشركات باستغلال هذه الاراضي عن طريق انشاء المدن والمزارع فيها وبيعها بأسعار مرتفعة نظرا لقربها من الخطوط الحديدية . مما كان مجالا وان شركات سكك الحديد لم تكن في البداية أمرها تعامل المواطنين على قدم المساواة . بل كانت تغطي كبار الرأسماليين واصحاب المصالح أسعارا منخفضة ساعدتهم في زيادة ثرواتهم . وكانت هذه التصرفات مثار نقمة شديدة من المواطن العادي على هذه المؤسسات الكبيرة.

الا ان هذه الشركات قد أدت على كل حال للبلاد خدمات جليلة من حيث انها وقبل نهاية القرن التاسع عشر كانت قد ربطت جميع المدن والمناطق الانتاجية في الولايات المتحدة بشبكة ضخمة من الطرق الحديدية هي اكبر من نوعها في العالم.

الرأسمالية والاحتكارات :

هذا التطور الاقتصادي والسريع وما رافقه من مضاربات بالأراضي وارتفاع متزايد بأسعارها واكتشاف مصادر الثورة الطبيعية كان يتم بالدرجة الاولى على عاتق الافراد وبمبادراتهم الفردية .أما الدولة فكانت عادة لا تتدخل في مجال الاعمال واذا تدخلت فالحماية والتشجيع والمساعدة فقط. ولذا فقد كان من الطبيعي أن ثروات هائلة وخاصة في السنوات العشرين الأخيرة من القرن التاسع عشر وكان اصحاب هذه الثروات يميلون بصورة عامة نحو السيطرة في مجال معين وتكوين احتكار قوي يزيل من طريقهم المنافسين ويؤمن لهم الربح الوفير . هذه الاحتكارات أو التروسات الكبيرة تظهر بسبب التطور التقني السريع الذي يستلزم رساميل كبيرة تعجز عادة .الشركات الصغيرة عن تأمينها. يضاف مالية كبيرة كان يساعدها على تخفيض تكاليف الانتاج وقبل نهاية القرن التاسع عشر كانت قد ظهرت احتكارات كبيرة في مجال استثمار النحاس ولحوم : البقر وزيت القطن والتبغ والماكينات الزراعية. الا ان اضخم هذه الاحتكارات على الاطلاق هي

1- الاحتكار الذي يسيطر على صناعة الفحم والحديد والذي يخص اندرو كارنيجي Andrew Carnegie . كانت افران هذا الرجل تنتج في نهاية القرن ثلاثة ملايين طن من الصلب مما يؤدي له ربحا سنويا يتجاوز الاربعين مليونا من الدولارات . وقد بلغت ثروته سنة 1901 بليون .ونصف بليون دولار

2- كان روكفلر في نهاية القرن التاسع عشر قد سيطر على صناعة استخراج وتصفية .البترول في كل الولايات المتحدة بإزالة العدد الاكبر من منافسيه وجمع لنفسه ثروة طائلة

3- تروست مورغان Morgan المالي الذي توصل قبل نهاية القرن التاسع عشر الى السيطرة على ثلث الخطوط الحديدية في البلاد كما امتد نفوذه الى فروع صناعية كثيرة : الصلب , .التلغراف , التلفزيون, الكهرباء

هذه الاحتكارات على الرغم مما قدمته في مجال تحسين الصناعة وتطويرها وما عملته لتخفيض تكاليف الانتاج ولتنظيم العمل الا انها كانت مثار نقد شديد من قبل المواطنين الذين كان يزعجهم تسلط أفراد قلائل على ثروات البلاد . ومع وقت ظهر رأي عام ومعاد لهذه الاحتكارات يطالب بالقضاء عليها . وهذا ما أدى بالحكومة الاميركية لإصدار قانون يمنع الاحتكارات يعرف باسم

وذلك في سنة 1890. الا ان Sherman antitrust act قانون شرمان لمحاربة الاحتكارات .ذلك القانون بقي طيلة القرن التاسع عشر دون تطبيق عملي

:الحركة العمالية

كانت الرأسمالية الامريكية طيلة هذه الفترة تعتبر قاعدة العرض والطلب الاساس الذي تطبقه في سياسة الاجولر تجاه عمالها. فالعمل كان يخضع لهذه القاعدة كأية سلعة أخرى . وكانت ظروف العمل بصورة عامة قاسية للغاية فالعامل يعمل اثني عشرة ساعة يوميا طيلة ايام الاسبوع دونه راحة اسبوعية الا ما ندر. وحوادث العمل كانت في تزايد مستمر دون أن يفكر رب العمل في وضع . أي تعويض مادي أو مساعدة . ولم يكن هنالك أي ضمان ضد البطالة أو المرض

ولهذه الأسباب فان الطبقة الواعية من العمال كانت تعف انها لن تستطيع الحصول على شروط عمل أفضل الا اذا اتحدث . ولم يكن هذا بالأمر السهل نظرا لكثرة المهاجرين وتهافتهم على العمل بأية شروط كانت .واول مؤسسة عمالية ظهرت سنة 1869 في الولايات المتحدة تحت اسم ((فرسان العمل)) قد فشلت وزالت قبل مطلع القرن العشرين نظرا لتصرفها في مطالبها : ثماني ساعات عمل يوميا, منع تشغيل الأطفال , تأميم الخدمات العامة. وفي سنة 1885 تتأسس بمساعي مهاجر يهودي هو :. American federation of labor ((اتحاد العمال الامريكيين لندي اسمة غومبرز و لا يزال هذا الاتحاد قائماً حتى اليوم نظرا لكون مطالبه كانت في الاساس واقعية ومعتدلة و لكون اتجاهاته محافظة . و لقد تمكن هذا الاتحاد من ان يؤمن للعمال الامريكيين بصورة تدريجية شروط عمل افضل وساعات اعمل اقل و اجور اعلى ولعل مما ساعده على نجاح هذه المؤسسة النقابية الكبرى و هذا ما يميزها عن اكثر النقابات الاوربية كونها كانت تقبل النظام الاقتصادي القائم و تعترف به كما انها ظلت بعيده عن الحياة الحزبية في البلاد ثم انها لم تحاول ان تجعل من مبدأ صراع الطبقات اساساً لعملها . ومع هذا لم يكن للمنظمات . العمالية وجود قوي في الولايات المتحدة حتى الازمة الاقتصادية الكبرى في 1929م